

الصلوات تبقى واحدة

تونا كيرميتشي

ترجمة: عمرو السيد

العربي للنشر والتوزيع

روايات مترجمة


mohamed khatab

mohamed khatab


mohamed khatab

mohamed khatab

mohamed khatab


mohamed khatab

mohamed khatab

mohamed khatab

مقدمة الناشر

«الصلوات تظل واحدة»

ان ما جذبني الي اختيار هذة الرواية للترجمة الي اللغة العربية من التركية هي عدة اسباب:

اولاً: ان الرسالة التي تحملها الرواية، عالمية لا تتقيد بمكان او بثقافة او بديانة معينة.

ثانياً: ان الطريقة التي كتبت بها الرواية غير تقليدية. فالرواية كلها عبارة عن حوار بين شخصيتين. فلا تحتوي على اي وصف للمكان او الزمان او حتى حالة الحوار بينهم، ومع ذلك فأنت لا تستطيع غير ان تقرأها حتى آخر سطر حتى تعرف ماذا يحدث.

ثالثاً: «وبرغم اختلاف الديانات تبقى الصلوات واحدة» هذة العبارة جذبتني جداً على المستوى الشخصي. فانا اشعر ان هذة الفكرة نحن في امس الحاجة لها. حيث ان هناك الكثير من التيارات التي تضع الدين اساساً للحكم على الاشخاص وهو ما يؤدي الى الكثير من المشاكل والفتن.

رابعاً: اننا لا نعرف الكثير عن الادب التركي وخصوصاً المعاصر منه. وهذة رواية كاتبها شاب وهو «تونا كريمتشى» الذي ولد في اسكشهير سنة 1973، ودرس السينما بكلية الفنون الجميلة في جامعة ميمار سينان، ونشر أول قصيدة ألفها في مجلة «فارليك»»، حينما كان طالبا في ثانوية «جالأتاسراى»»، ثم دفع بكتابة الأول «مراقبوا القمر» ليحصل على جائزة «يازار نايير» فى الشعر، سنة 1994، ويتقاسم مع الشاعر البوسنى «عزت سيرليتشى» جائزة «أورجوفان بالاكان» سنة 1997، وبعدها ينشر روايتة

الاولى «أرحل قبل أن أسقط» سنة 2002م، وحظيت بتقدير القراء، حيث اعتبرت أحد أهم الأحداث الثقافية لذلك العام. وتلتها روايته الثانية «طريق العزلة» سنة 2003، وهي أيضاَ التي نشر فيها كتاباَ يضم بعض الشعر وبعض الأغاني، ذلك أن تونا كريميشي يؤلف الأغانى لفريق روك ان رول يسمى «قلعة الرمال» ويكتب السيناريوهات للسينما، باللأضافة إلى كتابة عمود صحفي بإنتظام فى إحدى الصحف التركية المعروفة.

رواية مسرحية أو هي ما أصطلح النقاد على تسمية «مسرواية».

وهي تصلح لنقلها إلى خشبة المسرح بإمكانيات بسيطة وبإعتمادات مالية ضئيلة، فالمكان محدود، يمكن أن يكون غرفة صغيرة، ديكورها بسيط، والشخصيات برغم كثرتها داخل النص، إلا أن كل ما يُروى عنها تحكية الشخصيتان الرئيسيتان.

وفى كل كتاباته، يرسم تونا ويحكى عن الناس العاديين مستهدفا ومؤكداَ على العلاقة بين المرأة والرجل في تركيا اليوم، ومشغولاَ بالحزن الذي ينتاب البشر عندما يشيخون، وشعورهم الطاغي بالوحدة والعزلة، وألم الأيام الأخيرة قبل الرحيل عن الدنيا، وهو يضع ذلك في إطار شاعر غامض، موضحاَ تناقضات الشخصية الانسانية ومعاناتها على كوكب الارض.

وفي روايتا هذة التى نشرت سنة 2007م، تبقى صلاه واحدة بكائية على المصير الإنسانى، برغم تعدد الديانات والايديولوجيات والمعتقدات، فالنهاية واحدة، وهي الرجاء والأمل في إنسانية كريمة.

1

أوه! أهلاً! مرحباً بالشابة الصغيرة.

أشكرك.

اجلسي من فضلك. أقترح عليك الكرسي ذي المسندين. إنه مريح تماماً.

شكراً.

ربما أخافتك زيلدا بعض الشيء. سامحيها من فضلك. لقد تم اقتيادها هي وأسرتها إلى أحد معسكرات الاعتقال عندما كانت في السادسة فقط. وقُتل والديها أمام عينيها. لذلك، فهي لا تتحدث مطلقاً. لكن لا تدعي صمتها يخدعك. هي في الحقيقة رائعة. فهي تُدير هذا المنزل منذ ثلاثين عاماً وإلى الآن، لم أرها ترتكب خطأً واحداً.

لا تقلقي. لم أخف منها.

لكنك تبدين متوترة يا عزيزتي...

أنا دائماً ما أشعر بالتوتر أثناء مقابلات التقدم للعمل. والسبب هو أنني لم أمر بمقابلة بلا مشاكل إلى اليوم.

آنستي، من فضلك لا تنظري إلى الأمر على أنه مقابلة.

ما هو إذاً؟

اعتبريه زيارة. زيارة مسائية. اعتبري أنك جئت لزيارة عمة لك مُسنة وتقطن بعيداً.

فهمت.

لكن معطفك؟

ما المشكلة في معطفي؟

لا شيء. في الحقيقة، أنا أحب لونه. وردي باهت، أليس كذلك؟

نعم، وردي باهت.

من أين اشتريته؟

من محل في بيوجلو.

بيوجلو.. هل مازالت رائعة كما كانت دائماً؟

حسناً، إن هذا يتوقف على ما تعنينه بكلمة «رائعة». إذا كنت تعنين المقاطعة التي كان الناس يتجولون فيها بأبهى ملابسهم، فلا.. هي لم تعد رائعة. لكن إذا كنتِ تقارنين بينها وبين ما كانت عليه قبل عشرين عاماً، فنعم.

لماذا؟ هل كانت سيئة قبل عشرين عاماً؟

مدام روزيلا، متى كانت آخر مرة ذهبت فيها إلى إسطنبول؟

بالنسبة لي، فلا شيء يساوي الذهاب إلى إسطنبول يا آنستي. أحلم بالعودة إليها، لكن هذا لم يعد ممكناً... لسوء الحظ، لا تسمح لي صحتي بأن أسافر. لكن إذا كنتِ تسألين متى جئت إلى هنا، فيمكنني أن أقول إنني جئت منذ ثلاثين عاماً. ومنذ اليوم الذي وصلت فيه إلى هنا وأنا أحلم بإسطنبول.

إذاً، أنت لم تري إسطنبول منذ ستين عاماً؟

لا.. لم أرها.

لكن الطريقة التي تتحدثين بها؟

ماذا عن الطريقة التي أتحدث بها؟

أقصد الطريقة التي تتحدثين بها اللغة...

ما لها؟

لا أعلم... إنها ليست سيئة. أقصد بالنسبة لشخص تَغَرَّب لستين عاماً، فهي جيدة للغاية.

هذا لطيف منك.

حسناً، هذه هي الحقيقة.

عندما كان ألدو على قيد الحياة، كنا معتادين على التحدث بالتركية. لكنه توفي منذ ست سنوات. وهذا ما أتذكره منذ وفاته. أنا أشاهد أيضاً قنوات التليفزيون التركي.

حسناً، إن لغتك التركية جيدة بالفعل. يمكنني الجزم بأنك تتحدثين اللغة أفضل بمراحل من الكثيرين في إسطنبول.

حقاً؟

صدقيني.

لكن معطفك؟

ما المشكلة فيه؟

هل ستجلسين مرتدية معطفك، كما الضيوف؟

حسناً، سأخلعه.

هل وشاحك منسوج يدوياً؟

نعم...

الأرجواني هو دائماً اللون الأفضل للمنسوجات.

هل من المناسب أن أسألك من نَسَجَه لك؟

بالتأكيد. جدتي.

حقاً؟ هل تحبين جدتك؟

في الواقع، إنها الفرد الوحيد في عائلتي الذي أعشقه. لكن لسوء الحظ، فهي لم تعد على قيد الحياة...

أنا آسفة.

لا عليك. إنه المكتوب.

معذرة، ماذا قلت؟

قلت لا تأسفي. إنه المكتوب فحسب.

المكتوب... لقد مر وقت طويل منذ آخر مرة سمعت فيها هذه الكلمة بالتركية...

حسناً، لم يكن أحد يستخدمها في المدرسة سواي على أي حال... حتى أن المدرسين كانوا يسخرون مني بسبب استخدام مثل هذه الكلمة القديمة. لكنني لا أستطيع التوقف عن استخدامها. ربما يكون هذا بسبب جدتي على ما أظن.

أو ربما بفضلها.

نعم، يمكن أن يكون هذا فضلاً منها.

من فضلك اتركي معطفك، نعم هناك. سوف تأتي زيلدا وتأخذه على الفور. تصرفي كأنك في منزلك إذا سمحت. استرخي...

حسناً. سأفعل ما بوسعي.

كيف رأيت إعلاني؟

أنا أبيع الجرائد في وقت فراغي. كي أكسب مصروف يدي. بالأمس، بعدما عملت حتى الظهيرة، ذهبت إلى الحديقة وجلست على أحد المقاعد. وضعت الجرائد على يميني، لكن الرياح هبت فجأة وبعثرتها. رأيت الإعلان بينما كنت أحاول ترتيب الصفحات. لقد جذب انتباهي لأنه مكتوب بالتركية.

إذاً فأنت لم ترينه بينما كنت تقرأين الجريدة.

لا أقرأ الجرائد.

حتى المحلية منها؟

لا أقرأ الجرائد المحلية على وجه الخصوص.

لماذا؟ بالمناسبة، ماذا تفضلين فأطلب من زيلدا أن تحضره لك؟

أفضل القهوة.

لدينا شاي أيضاً. معمول في اسطنبول، وقرمزي اللون.

شكراً. أفضل أن أشرب القهوة. أريد لبن وسكر أيضاً من فضلك...

هناك شيء أود أن أقوله لك يا آنستي. لا تحتاجين إلى أن ترفعي صوتك. تستطيع زيلدا أن تسمعك. إن عدم قدرتها على الحديث ترجع إلى أسباب نفسية تماماً.

آسفة.

من فضلك لا تخجلي هكذا. لقد قلت هذا كي أريحك. آمل ألا أكون قد

جرحتك.

لا، لا عليك.

لكن خديك احمرا نجلاً.

إن هذا نوع من... دائماً ما يحدث لي هذا أثناء المقابلات. إنه شيء لا يمكنني منعه. والآن بعد أن أخبرتيني بأن خدي احمرا، فإن الأمر سيزداد سوءاً.

إذاً، لن أضايقك.

لا يهم.

ماذا كنا نقول؟

لا أعلم... لقد نسيت أنا أيضاً.

كنا نتحدث عن الجرائد... كنت تقولين أنك لا تقرأين الجرائد.

لا.. أنا لا أقرأها. أرى أن الصحفيين يعتقدون أنه كلما كانت الأخبار سيئة، فإن الجرائد ستبيع أكثر. وأنا في الحقيقة لا أريد أن أدفع أي نقود كي أزعج نفسي بمشاكل العالم. لدي ما يكفيني من المشكلات.

لكن هل تعزفين أيضاً عن الكتب؟

لا أقرأ الروايات على أي حال... عندما يكون التعامل مع مشكلاتك أمر صعب بما يكفي، فليس من المعقول أن تُعبئ بشخصيات خيالية.

إذاً، ماذا تقرأين؟

الشعر غالباً هذه الأيام.

حقاً؟

نعم... حسناً مدام روزيلا.. أرجو ألا تفهميني خطأ، هل لي أن أسألك سؤالاً؟

بالتأكيد...

ما الذي نفعله هنا؟

إننا نتحدث.

لماذا؟ أعني، لا أعتقد أنك نشرت هذا الإعلان كي تتحدثي.

في الحقيقة، هذا بالضبط هو السبب الذي نشرت من أجله الإعلان.

لم أفهم بعد.

ليست مشكلة. هل تتذكرين نص الإعلان؟

لا أحتاج إلى أن أتذكر. فالإعلان معي في حقيبتي. دعيني أخرجه.

من فضلك لا تتعبي نفسك. دعيني أخبرك بنص الإعلان: «مطلوب موظف يتحدث التركية. أجر مُرْض. الخبرة غير مطلوبة. يفضل المتقدمون غير المدخنين».

نعم شيء مشابه لهذا.

ليس مشابهاً لهذا. كان النص بهذه الكلمات تحديداً. أنا كتبته بنفسي. مع هذا، فلك كل الحق في أن تتساءلي. في النهاية، لقد قطعت كل الطريق قادمة من أقصى المدينة الليلة. ثم فتحت لك خادمة صامتة الباب، وشعرتِ بأنك مُجبرة على الحديث مع سيدة عجوز. يبدو عليك الملل، لكنك غير قادرة على أن تقفي وتغادري على الفور لأنك بحاجة إلى النقود.

لم أقصد هذا.

أنا أعرف. كنت أمزح معك.

في الحقيقة لم أفهم أنك تمزحين.

إن فارق العمر بيننا ستون عاماً يا آنستي. إنه أمد طويل. ألا ترين أن فن المزاح قد تطور قليلاً خلال هذه الفترة الطويلة؟

معذرة، إنك تجيدين تغيير المواضيع.

على العكس آنستي، إننا ندلف إلى قلب الموضوع في الحقيقة. دعيني أوضح لك بشكل أكبر. ما الذي نفعله الآن؟

كما قلتِ، إننا نتحدث.

وهذا هو هدف زيارتك.

ماذا؟

الحديث.

تقصدين أنك نشرتِ الإعلان كي تجدين شخصاً تحدثين إليه؟

لا أريد أن أجد شخصاً فحسب يا آنستي. أريد أن أجد شخصاً يتحدث التركية.

أحاول أن أفهم.

دعيني أساعدك. لقد قضت السيدة الجالسة أمامك السنوات الأكثر روعة وجمالاً وأيضاً الأكثر حزناً وغرابة من حياتها في إسطنبول. وما عايشته في هذه المدينة هو ما شَكَّلني. إن كل خطوة أو نَفَس تنفسته في إسطنبول شيء غالٍ بالنسبة لي. الآن، أنا عجوز ومريضة، ولم يعد أمامي الكثير من الوقت في هذه الحياة. أسوأ شيء هو «النساوة» التي بدأت تعتريني...

معذرة، ما الذي بدأ يعتريك؟

«النساوة» يا آنستي. أقصد النسيان... ربما تكون لغتي قديمة بعض الشيء. وبالرغم من ذلك فقد تعلمت التركية منذ ستين عاماً مضت.

لا يهم مدام روزيلا. إنك تجيدينها تماماً.

ألن تشربي قهوتك؟

لم ألحظها. لقد أحضرتها بهدوء شديد! أشكرك آنسة زيلدا.

عزيزتي زيلدا، هلا تفضلت بإغلاق الباب بعدما تغادرين، إذا سمحت...

ألم ينج أي من أفراد أسرتها من معسكر الاعتقال؟

كان لديها أخ. لم تشهد مقتله. على الرغم من ذلك فليس لديها الشجاعة لأن تفتش في الماضي، فهي خائفة من أن تكتشف أنه لم ينج أيضاً. وطالما أنها لا تعرف، فيمكنها أن تأمل أنه حي وأنه يعيش في مكان ما على الأرض.

يا له من شيء فظيع...

ما الذي كنا نقوله؟

إسطنبول وما تعنيه لك...

نعم، إن السنوات الأصدق في حياتي كانت هي السنوات التي عشتها في إسطنبول. هل تعرفين ما الشيء الوحيد الذي لا أطيق نسيانه الآن في هذا السن المتقدم، بينما كل شيء يمحي ببطء من الذاكرة؟

إسطنبول؟

لا.. ليست إسطنبول. خمني مرة أخرى.

مدام روزيلا، أنا حقاً لا أحب التخمين. من فضلك أخبريني ما هو؟

التركية.

التركية؟

نعم، اللغة التركية... لأن ذكريات هذه السنوات تعيش داخل عقلي مع اللغة التركية. لا أعلم متى ستنمحي ذاكرتي بشكل تام، لكن الأطباء يقولون إن تدهورها قد تزداد سرعته في أي وقت. أخشى إن نسيت التركية، أن يختفي كل ما عشته في الماضي أيضاً. هذا هو السبب الذي نشرت الإعلان لأجله...

إذاً، فأنت تريدين مني أن أتحدث إليك بالتركية...

نعم... لن يكون هذا لمرات كثيرة، يكفي مرتان في الأسبوع. يمكننا أن نجلس كما نحن الآن ونتحدث. بهذه الطريقة، لن أنسى التركية ولا ذكرياتي التي شَكَّلتني.

لكن ما الذي سنتحدث عنه؟

أي شيء وكل شيء... مدرستك، المكان الذي تمكثين به، القطة التي ترينها في الطريق إلى هنا... عامل في الشارع... أضواء الكأس... ما يحدث في إسطنبول... أي شيء تريدين... يكفي الاستمرار في الحديث فحسب.

لا أعرف حقاً مدام روزيلا.

حسناً، تقول عيناك إنك مترددة بعض الشيء.

لقد أخبرتك. أنا لا أعلم...

ليس عليك أن تردي على الفور. فكري في الأمر لمدة. وإذا كنت تريدين

أن ترفضي عرضي، فمن فضلك لا تتعاطفي معي. لن يتأذى أو يحبط أحد.
في النهاية، فإن هذا عمل، أليس كذلك؟

2

أشكرك كثيراً على قبول المجيء إلى هنا. ينبغي أن أخبرك بأنني بعد حديثنا الأول لم أتوقع أن تأتي إلى هنا مرة أخرى.

العفو. لكن كما قلت فأنا أحتاج إلى المال.

هل آذيتك بهذا التعليق؟

لا أتأذى بسرعة مدام روزيلا. لا تقلقي.

حقاً؟ لكن وجهك يخبرني عكس ذلك.

ماذا عن وجهي؟

أنت جميلة جداً.

هيا!

أترين؟ ها قد خجلت مرة أخرى.

لست متأكدة.. حقاً، أنا لا أعتقد أنني جميلة.

لديك شعر مموج حالك السواد. وشفتان مكتنزتان تضجان بالحمرة. ووجه حَسَن.

من فضلك، لقد أخجلتيني.

والشيء الأكثر إدهاشاً فيك هو عيناك.

لِمَ؟

بهما حزن خفي مؤثر. إن النظرة التي في عينيك تشي بشخص مر بالكثير من الأشياء.

وما نوع هذه الأشياء؟

أشياء متنوعة يا آنستي... أقصد أشياء مختلفة... عديدة..

كان ينبغي أن تصبحي كاتبة.

ومن قال إني لم أكن كاتبة؟

هل أنت كاتبة؟

إن أي شخص في هذا السن يمكن أن يُعتبر كاتباً يا عزيزتي بيلين... اعتدت على كتابة يومياتي، لكن مؤخراً، كيف يمكن أن أُعبِّر عن ذلك بصورة جيدة؟ بدأت قراءة ما كتبته تؤلمني.

أكره كتابة اليوميات.

هذا مؤثر. لكن لماذا؟

تكتبين شيئاً تعتقدين أنه شائق، لكن عندما تقرأينه بعد عام تشعرين أنه غبي للغاية. تشعرين بالخزي من نفسك. بالإضافة إلى أن وجود كتابات عن الفرد ليس من الحكمة في شيء، أليس كذلك؟

حسناً، أنا أوافقك في هذا.

عندما تكتبين يومياتك، ستنتاب جميع الناس والأصدقاء والأقارب وغيرهم رغبة في قراءة ما كتبتِ. والأسوأ أنه بغض النظر عن محاولاتك إخفاء يومياتك، فدائماً ما سيكتشفونها ويقرؤونها. وحينها تكونين في ورطة كبيرة.

يبدو أنك مررت بهذا من قبل.

أكثر من مرة في الحقيقة.

ومن الذي كان يجد مذكراتك دائماً؟

أبي في العادة.

أنت محقة، أحياناً ما يكون الآباء خطرين.

نعم، خاصة الذين يشبهون أبي.

لم؟

ألا يمكننا أن نُنحي هذا الموضوع مدام روزيلا؟

آنستي، دعينا نتفق على شيء واحد. أنت لست مجبرة على الحديث حول أي شيء لا تحبينه. بالإضافة إلى أنك لست مجبرة على الحديث على الإطلاق. أعني، أنك لست مجبرة على القبول بهذه الوظيفة.

لكنني أحتاج إلى المال، أليس كذلك؟

يمكنني أن أقرضك بعض المال.

لكنك لا تعرفينني.

وما أهمية إن كنت أعرفك أم لا؟

ماذا لو لم أرد لك المال؟

عزيزتي بيلين، أنا ثرية بدرجة لن تجعلني أعاني بسبب المبلغ الذي يمكن ألا ترديه... بالإضافة إلى أنني لا أعتقد أن لدي متسع من الوقت كي أنفق المال الذي لدي.

أنا لا أشعر بالملل من الحديث معك.

أنت لطيفة جداً.

شكراً.

لكنني مازلت مندهشة. في المرة السابقة، لم تطيقي الانتظار قبل أن تغادري هذا المكان. هذا هو السبب في سعادتي الغامرة حين اتصلتِ وقلتِ إنك قبلت الوظيفة.

أتريدين أن أكون صريحة معك؟

من فضلك... هذا هو الجزء الأفضل في الأمر برمته.. الفضفضة.

لقد تركت هاتفي هنا، أتذكرين؟

آنستي، لدي ذاكرة ضعيفة لكن ليس لهذه الدرجة.

ثم عدت لآخذه.

نعم، لاحظت هذا.

ماذا؟

عندما خرجت، أدركت أنك تركت هاتفك في منزل السيدة العجوز.

ومن الطبيعي أن يضايقك هذا. لقد ضربت الجرس، وفتحت لك زيلدا الباب. بينما كنت تصعدين السلم إلى الطابق الثاني، سمعتيني وأنا أتحدث في الهاتف، أليس كذلك؟

نعم.

في البداية اعتقدتِ أنني كنت أتحدث مع نفسي. ثم حين نظرت عبر باب غرفتي، أدركت أنني كنت أتحدث مع تشارلوت.

لم ألحظها من قبل.

إنها حذرة في التعامل مع الغرباء. وهي تظهر أمامهم بعد فترة. إنها عادةً ما

تختفي في إحدى الغرف.

أين هي الآن؟

من يعرف! ربما هي في الحديقة، تطارد الخنافس. ماذا كنت أقول؟

دعك من هذا مدام روزيلا.

تَذكرتْ! نظرتِ عبر الباب، وأثر فيكِ ما رأيت: سيدة عجوز تحدث قطتها...

مدام روزيلا...

بالإضافة إلى ذلك، فما قلته لك استثار الشفقة داخلك.

لست إنسانة عاطفية. لست كذلك.

لحظتها، ربما كنت أقول «أترين يا تشارلوت، إننا وحدنا مرة أخرى».

لا أذكر.

ربما كنت أقول أيضاً «لا يريد أحد أن يقضي وقتاً معنا لأننا عجوزان جداً».

لا أذكر هذا بالفعل.

لابد أنك تأثرت حين سمعت هذه الكلمات.

لا أريد أن تأخذي انطباعاً خاطئاً عني يا مدام روزيلا... أنا بالفعل لا أتأثر عاطفياً بسهولة. «» كَبَّري دماغك»!

معذرة؟

ها أنت تتقدمين! إنها كلمة جديدة بالنسبة لك.

كرريها من فضلك.

«كَبِّري دماغك».

ما الذي تعنينه على وجه التحديد؟

أنا أقصد لا تقلقي بهذا الشأن. أريحي بالك.

هل هذا تعبير مشهور؟

بين الطلبة، نعم.

هل هناك تعبيرات أخرى مشابهة؟

أراهن أنك لن تحبي أن تسمعيها.

على العكس، سيسعدني هذا... حينما يتعلق الأمر باللغات، فإن ألدو كان محافظاً بشكل أكبر مني، لكنني كنت أرى أن هذه التعبيرات شائقة للغاية.

لأنك «سبور».

ماذا أكون؟

«سبور». أقصد أنك تتمتعين بالقبول. وأنك اجتماعية...

ها قد تعلمت تعبيرين.

صحيح. إننا نتقارب ببطء.

نعم... ما الذي كنا نقوله؟

لا يهم مدام روزيلا. لقد نسيت فحسب.

تذكرت. لقد رأيتيني بمفردي تماماً. أتحدث إلى قطتي. وأشفقت عليّ. ثم

ذهبت إلى المنزل، وعندما اقترن المشهد الذي رأيتيه مع حاجاتك المالية، قررت أنه من الحكمة أن تقبلي العرض.

دعيني أصحح ما قلته سابقاً. ينبغي أن تصبحي كاتبة حوار يا مدام روزيلا.

لكن لماذا تضحكين؟

لأنك لطيفة للغاية.

لكن من أدراك أنني لست ممثلة جيدة في الوقت نفسه؟

ماذا تقصدين؟

ربما، لقد أدركت أنك تركتِ هاتفك... سمعت خطوات أقدامك على السلم وعرفت أنك كنت تقتربين من الغرفة. ثم اصطنعت مشهداً مع القطة كي أجعلك تشعرين بالأسف لي. أليس هذا ممكناً أيضاً؟

حسناً، إن هذا ممكن.

وبالتالي صدقت خدعة امرأة عجوز، وها أنت هنا. ماذا تقولين في هذا؟

لقد قلت بالفعل. إنك لطيفة!

ضحكتك مبهجة للغاية.

شكراً.

عندما تضحكين، تضيق عيناك، وتظهر ملامح الفرحة على خديك، أنا متأكدة من أن لك الكثير من المعجبين.

من الأفضل ألا ندلف إلى هذه المسألة الآن.

كما تريدين آنستي. «كَبّري دماغك»!

برافو مدام روزيلا! إنك سريعة التعلم.

ها أنت تداعبينني.

3

تقابلت أنا و»ألدو» عام 1936. أتتخيلين هذا؟

حسناً، إن هذا يبدو منذ فترة بعيدة للغاية، ربما أن لدي مشكلات حتى في التخيل.

لكن بالنسبة لي، يبدو هذا كأنه كان بالأمس... أعتقد أن هذا بسبب التقدم في العمر... أنا لا أتذكر ما تناولته على العشاء، لكن كل الأشياء التي حدثت في بداية القرن الماضي مازالت مفعمة بالحيوية.

أراهن أنك ستحبين أن تخبريني كيف التقيتما.

هل أبدو متلهفة للغاية لأن أحكي القصة؟

كنت أعتقد أن ما نفعله هنا هو الحديث.

صحيح. من فضلك انظري أولاً إلى الصورة على الحائط.

لا أصدق هذا...

قفي آنستي. ينبغي أن تنظري عن كثب.

لا أستطيع أن أصدق عيني مدام روزيلا. كم كان شكلك مدهشاً!

كان شعري جميلاً، أليس كذلك؟

ليس شعرك فقط. ملامحك، وعيناك، وأيضاً التعبير الذي على وجهك...

صحيح... الزمن مستبد...

لم أقصد هذا. أقصد، أن السيد ألدو لابد وأنه «اذبهل» حين رآك.

«اذبهل»؟

أعني أنه وقع في حبك.

لا أعتقد أنني أحب هذه الكلمة الجديدة. لم أحب كلمتك الجديدة هذه المرة.

في الحقيقة، أنا لا أحبها كثيراً أيضاً. يمكنك أن تنسيها أيضاً.

لكن بيني وبينك، نعم، لقد «اذبهل» بشكل تام! كنت قد بدأت لتوي التدريب في صالة الألعاب الرياضية. في وقت فراغي، كنت ألعب التنس في نادي المدينة. كان حلمي الأكبر هو المنافسة والفوز ببطولة ويمبلدون ذات يوم. لقد كنت طفلة بالرغم من كل شيء.

الآن فهمت.

ماذا فهمت؟

لقد كنتِ تشاهدين مباراة تنس في التليفزيون عندما جئتُ هنا في المرة الأولى، أليس كذلك؟

نعم.

وكانت مباراة بين ساباتيني وجراف. لقد كانت هذه المباراة عام 1991.

هل تحبين التنس؟

إنه واحد من الأشياء القليلة التي لدي شغف بها. لقد كنت ألعب كل يوم بينما كنت في المدرسة الإعدادية.

ثم؟

ثم ماذا؟

لماذا توقفت؟

لا عليك مدام روزيلا... إن هذه القصص محزنة..

عزيزتي بيلين، إنك تجيدين جعل الآخرين شغوفين.

جعلهم ماذا؟

فضوليين...

أنا لا أقول هذه الأشياء كي أثير فضولك. لكن ألا يتألم المرء من الحديث في بعض الأشياء؟

أوه! لا أحد يعلم هذا أكثر مني.

لكنك تريدين أن تحدثي عن هذا على أي حال.

إن ظروفنا مختلفة يا آنستي. أنت شابة. وكل الاحتمالات ممكنة بالنسبة لك. لكن كل ما يمكنني أن أفعله الآن هو أن أحكي قصصاً، وأجد السلوى في ذكرياتي.

وأنا مستعدة للسماع.

نعم... أنت محترفة اسماع.

بلا شك... كنت تحدثين عن نادي التنس...

في الحقيقة كنت أنا مصدر الجذب داخل النادي في هذا الوقت... لأن شباب جامعة برلين كانوا «يذبهلون» حين يرونني!

فهمت!

لا، هل استخدمتها بشكل غير صحيح؟

بالطبع مدام روزيلا. أعتقد أن كلمة «يذبهل» لم تُستخدم من قبل بهذا الجمال. استمري من فضلك.

عندما كان دوري للعب يحين، كانت كل المقاعد تمتلىء بالمتفرجين على الفور... ليسوا فقط من الأولاد، ولكن أيضاً من البنات من صالة الألعاب الرياضية...

كانوا يأتون ليروا إن كان بإمكانهن أن يأخذن نصيبهن.

حسناً... يمكنك أن تقولي إنهن ربما اعتقدن أنني لن أستطيع التعامل مع الكثير جداً من الأولاد، فكن يجربن حظهن لإيجاد شخص لهن. هل تعرفين «صفارة البط»؟

لا، لم أسمع بها من قبل.

ليس لديك الكثير من المعلومات عن الصيد، أليس كذلك؟

طالما أن الأمر يتعلق بالطيور.

آنستي، إنك تثيرين شغفي بشكل تدريجي.

عظيم.

على أي حال، ماذا كنت أقول؟

كنت تتحدثين عن «صفارة البط».

نعم، هل تعرفينها؟

لا، لا أعرفها مدام روزيلا.

إنها تشبه صوت البطة. تصفرين بها، فتظهر كل البطات الصغيرة من حولك. ثم تنتهزين الفرصة وتصطادينها. في هذا الوقت، لم يكن أي من المصانع قد أنتج صفارات البط. لذا، كان على الصيادين أن يصنعوا صفاراتهم من البوص.

أنا شغوفة جداً الآن.

لابد أن صفارة ألدو موجودة في مكان ما بالمنزل هنا. سأريها لك في وقت ما. كنت أنا أحد هذه الأصوات التي تجمع البط. عندما كنت أذهب هناك كي ألعب التنس، كان جميع الشباب الذين يتمتعون بالوسامة يظهرون فجأة.

مدام روزيلا، أريد أن أسألك سؤالاً.

أحس بنبرة ماكرة في صوتك.

عديني أنك لن تغضبي مني.

هل رأيتيني غاضبة من قبل؟

لا لم يحدث إلى الآن. لو كان هذا، لما أصبحت مترددة على أي حال. لكن إذا لم أسأل هذا السؤال فسوف أنفجر من الفضول.

اسألي آنستي. كلي آذان صاغية.

هل كنت فتاة لعوب؟

لعوب؟

نعم...

ماذا تقصدين؟

هل هناك معاني كثيرة لكلمة لعوب؟

في هذا الوقت في ألمانيا، كان لهذا أكثر من معنى. غير أن معنى هذه الكلمة لم يكن واحداً مع الرجال والنساء... خاصة إذا ما تربيت في أسرة يهودية تؤمن بتقاليدها للغاية، كان هناك دائماً تخوم أقصد حدود... لكن

الرب يعلم أنني كنت دائماً ما أستمتع بزيادة هذه الحدود.

أترين! لقد كنت فتاة لعوب؟

لست متأكدة... هناك أشياء مثل اللقاء سراً في الليل، تبادل القبلات تحت الأشجار، تركه يُمسِّد شعرك... هل تُعتبر هذه الأشياء ضرباً من الغنج هذه الأيام؟

لا.

ماذا عن الخطابات السرية، والأغاني المهداة إليك، وقصيدة تُقرأ تحت شرفتك؟

حسناً، إن هذا يعتمد على عِدد الأشخاص الذين تسمحين لهم بفعل هذا.

...

...

آنستي، أنا معجبة بجرأتك.

هل سيتم فصلي الآن؟

لا أعلم ما الذي تحاولين أن تجعليني أعترف به، لكن دعيني أخبرك أنني كنت دائماً أحب الرجال... لكن ليس لشكلهم الجيد فقط... كنت أحب أن يحبوني، أستمتع بحنوهم، وتصرفاتهم الطفولية، وفي نفس الوقت، رباطة جأشهم. من فضلك انظري الآن إلى الصورة المعلقة على هذا الحائط.

رأيتها في المرة الأولى التي جئتُ فيها إلى هنا. لابد أنه السيد «ألدو».

ماذا تعتقدين؟ هل تعتقدين أنه وسيم؟

ليس سيئاً.

من فضلك كوني صادقة.

أعني.. يبدو على ما يُرام.

وجه صغير، ونظارات مستديرة... كان شعره قد بدأ في السقوط بالفعل في هذا الوقت. هل يبدو كأمير وسيم يمكن أن يُغري أجمل فتاة في نادي التنس؟

لا.

لكنني أردته هو. ومن بين الكثيرين الذين كانوا يشبهون «جوني ويسمولر» (1)... هل تعرفين السبب؟

أحب أن أعرفه مدام روزيلا.

لقد اخترته لأنه الوحيد الذي أراد أن يعرفني بصدق... كان الوحيد الذي استطاع أن ينظر داخلي.

...

أنت غارقة في التفكير.

لا أنا بخير. كنت أنصت لك فحسب.

هل تدمعين؟

لا أعلم...

من فضلك... إننا حتى لم نصل إلى الأجزاء الأكثر إثارة للمشاعر في القصة.

مدام روزيلا، أفضل أن أغادر.

ماذا تقصدين؟

أقصد، أن الوقت تأخر بالفعل. هل يمكن أن أستأذنك؟

حسناً آنستي. يمكنك أن تغادري، من فضلك تذكري أنني سأنتظر زيارتك لي يوم الخميس. قبل أن تغادري، هل من الممكن أن تطلبي من زيلدا أن تحضر لي أقراص الدواء الخاصة بي من فضلك؟ سأخلد إلى النوم مبكراً الليلة.

---

(1) جوني ويسمولر (1904 1984) :Johnny Weissmuller ولد فى رومانيا ومات فى المكسيك. كان ممثلاً سينمائياً. وأشهر أدواره على الإطلاق، قيامه بدور طرزان سنة 1932.

4

آنستي، تبدين محبطة بعض الشيء...

لا أعلم... أنا أشعر بالضيق.

هل تريدين أن نلغي لقاءنا اليوم؟

لا! لا حاجة إلى ذلك.

هل تريدين أن تخبريني بشيء؟

أخبرك بماذا؟

أي شيء.

لا يوجد ما أخبرك به مدام روزيلا. أنا على هذه الحالة منذ يومين. ربما هو الطقس الممطر...

صحيح. يبدو المطر وكأنه لن يتوقف.

في الواقع، أنا أحب هذا الطقس... أنا فقط لا أعرف ما الذي أصابني.

كيف كان الأسبوع الماضي بالنسة لك؟

كالمعتاد...

لا أعرف كيف تكون أيامك في المعتاد.

أعني أنني ذهبت إلى الجامعة. ذهبت إلى كل المحاضرات.

في أي قسم أنت؟ لقد نسيت.

لا يمكن أن تنسي لأنني لم أخبرك من الأساس. الأدب الفرنسي. الفرقة الثانية.

هل تحبين الأدب الفرنسي؟

لا أجد مشكلة في دراسته.

لكنك لا تحبين هذه المدينة.

هل هذا أمر واضح؟

آنستي أنت من إسطنبول. وهذه مدينة أوروبية هادئة للغاية، منمقة للغاية، وبلا روح بالنسبة لشخص من إسطنبول. إنها متحضرة بشكل زائد... حتى أنا في الماضي تركت بوسفوراس وكان التعود على الحياة هنا أمراً صعباً بعض الشيء. أنا متأكدة من أن الفرق بين المكانين قد أصبح أكبر بكثير هذه الأيام.

بكل تأكيد.

إذا لم تمانعي، هل يمكن أن أسألك أين تعيشين؟

حتى لا أهرب؟

لا، في حالة أنك احتجت شيئاً.

أنا أعيش في سكن الطلبة وأقتسم الغرفة مع طالبة بلجيكية. وهي حمقاء بمعنى الكلمة.

ألم تنسجما مع بعضكما؟

هذا مستحيل؛ فالغبية تظن أن أي شخص من الشرق الأوسط انتحاري مرتقب.

يا لـ جهلها.

هل هذا لأنني أنعتها بالغبية؟

بالطبع لا... إنها الطريقة التي تتصرف بها.

أتعرفين، لقد تقدمت إلى الإدارة بطلب لتغيير غرفتها.

يا إلهي... وما الذي حدث بعدها؟

رفضوا طلبها. في الأغلب لقد خافوا من أن يتم اتهامهم بالعنصرية من أجل حمقاء. في الحقيقة، أنا لا أبالي. أتمنى لو قبلوا طلبها. لكنت تخلصت منها.

كان ألدو يقول إن الناس يذهبون إلى لندن أو باريس أو فلورنسا كي يتعلموا، لكنهم يرسلون إلى هذه المدينة.

حسناً لقد كان محقاً.

هل تم إرسالك أنت أيضاً إلى هذه المدينة؟

مدام روزيلا، نحن هنا كي نتحدث في قصتك أنت.

حسناً... أين توقفنا؟

ماذا كان عمل السيد ألدو؟

عالم.. متخصص في الغدد الصماء.

ماذا؟

متخصص في الغدد الصماء يا آنستي... إنه فرع من العلوم يدرس الهرمونات.

إنه عمل مهم إذاً..

هل سمعت من قبل عن تيدوس رايخشتاين؟

لا أنا جاهلة تماماً.

لا أبداً... تعاون ألدو مع رايخشتاين في إيجاد علاج لـ «داء أديسون»(2). كانوا يحاولون عزل الجذر النشط لقشرة الغدة الكظرية التي - وفقاً لاعتقادهم- تطيل عمر الإنسان الذي يعاني من هذا المرض.

مدام روزيلا...

ألا تفهمين؟

أنا آسفة...

لا عليك. إن فهم هذه الأشياء أخذ مني سنوات أيضاً. على أي حال، بعد سنوات من العمل داخل المعمل، نجحا في عزل بعض الهرمونات والتي أطلق على إحداها فيما بعد الكورتيزون.

ماذا؟ حقاً؟

نعم. في الحقيقة فإن الكورتيزون المعروف كان نتيجة عملهم.

لو كنت مكانك لكنت فخورة حقاً.

كنت كذلك. لكن ألدو لم يحب ذلك. لم يكن يحب المبالغة في أي شيء. فقد كان معتدلاً ووسطاً على الدوام.

صورته تشي بذلك في الحقيقة. عالم حقيقي.

نعم، أنت محقة.

هل قابلتيه في نادي التنس؟

لا أذكر اللحظة التي تقابلنا فيها بالضبط. ربما أدركت أنه لم يكن مدهشاً من حيث مظهره وشكله. ربما قام صديق مشترك بتقديم أحدنا إلى الآخر. بالنسبة لي فإن الصدق هو الأهم عزيزتي بيلين. لدي موهبة في التفريق بين

الزائف والصادق. ربما كنت أشعر بالملل من كل هؤلاء المتأنقين فارغي العقول الذين حاولوا أن يبدوا مثل جوني ويسمولر.

مدام روزيلا، من فضلك اغفري لي جهلي، لكنك ذكرت هذا الاسم من قبل. من جوني ويسمولر؟

ياه! ألم تسمعي به من قبل؟

آسفة.

كان جوني ويسمولر أول من مثَّل طرزان في الأفلام. في نفس الوقت كان سباحاً وحصل على ميدالية أوليمبية.. أثناء فترة شبابي، كان بطلاً. أتساءل بمن يمكن أن نقارنه اليوم؟

كلوني؟

لا، نحتاج إلى شخص أرشق.

توم كروز؟

لا، هذا القرد المتبسم!

براد بيت؟

اممم.. لا ليس هذا أيضاً.

ماذا عن أرنولد؟

هذا الذي أصبح حاكماً هذه الأيام؟

نعم...

حسناً، ربما. نعم. ويسمولر كان مثل أرنولد، في شبابي... كان وسيماً ورياضياً. وحيث لم تكن هناك الكثير من البدائل، فقد كانت كل الفتيات

مغرمات به.

لكنك لم تكوني كذلك.

لا. بالنسبة لي فقد كان براد بيت هو المفضل لدي.

كان لابد أن أدرك هذا.

لقد تقابلت أنا وألدو لتناول الإفطار عدة مرات، وكنت أشعر بالاطمئنان حقاً وأنا بجانبه. كنت أشعر وكأن السكينة تتدفق إليّ من روحه. عندما كنت معه، كنت أشعر أنه لا يوجد بالعالم ما يحتاج إلى تحسين، وأن كل شيء مثالي وفي موضعه الصحيح. إلى جانب هذا فقد كان يتلو شعر «ريلكه» (3). كانت هذه سمة رائعة في هذه الأيام. هل تعرفين ريلكه؟

Die Einsamkeit ist wie ein Regen، sie steigt vom Meer“

den Abenden entgegen...”(4)

أنت تعرفين...

مدام روزيلا، أرجو ألا تشعريني بجهلي.

لن أفعل هذا.

فضلاً.

كان ألدو يقرأ لي قصيدة كل صباح. أخبريني، ما الذي يمكن لفتاة أن تفعله حين يتلو لها شخص ما شعر ريلكه كل صباح؟

إذا كنت تسأليني عن الفتيات اليوم، فقد يتثاءبن على سبيل المثال.

صدقيني لم يكن الأمر مختلفاً جداً وقتها. أعتقد أن هذا هو السبب الذي جعله يحب قضاء الوقت معي.

هل كان طالباً أيضاً؟

نعم. كان يهودي سفاردي (اليهودي الشرقي) أتى من إسطنبول كي يدرس الطب... كان أكبر مني بسبع سنوات. وكما قلت فقد كان ناضجاً، وحنوناً، وكان مستعداً دائماً للإنصات. لم يكن من الممكن أن تشعري بأنك تحفة جميلة فحسب بجانبه.

وقد وقعت في حبه.

كان هذا أكثر من الحب بكثير. في أعماق روحي شعرت بالارتباط بألدو.. كان أبي وابني وصديقي المفضل وأخي الأكبر... كان يُشعرني بالأمان. وبجانبه كانت الحياة هادئة.

أتمنى لو كنت أعرفه.

أنا متأكدة من أنك كنت ستحبينه.

وهل تزوجتما على الفور؟

كان ألدو شاباً جريئاً، كما ترين. ولأنني لم أكن أريد الزواج، فقد تقدمنا ببطء. لكن في النهاية، اقترح عليّ في صبيحة أحد أيام الربيع أن نقوم برحلة بالقارب في النهر. بعد التجديف لساعة ونصف تقريباً، والحديث في هذا وذاك، صار ألدو مُتعباً للغاية حتى خفت أن يفقد وعيه قبل أن يطلب يدي. لحسن الحظ فقد فعلها. لكن عائلتي بطبيعة الحال كانت مترددة. ربما تعلمين عن هذا القليل، لكن يهود الأشكاز (يهود الغرب) من أمثالنا واليهود السفارديون يشعرون بعدم التجانس فيما بينهم. في الحقيقة، إن الفارق بين الفريقين ليس كبيراً، لكن يبدو أن أبي كان لديه اثنان آخران يفكر في أن يزوج أحدهما لابنته. لقد تمنى في واقع الأمر أن يزوجني لمهندس

- يهودي ألماني- كان يُذكِّره بشبابه... لهذا فقد أخذت عائلتي بعض الوقت كي تتكيف مع فكرة إعطاء ابنتهم لزوج من إسطنبول. لكن في النهاية، أثرت سلوكيات ألدو الناضجة والمشرفة عليهم فقبلوا.

إذاً فقد استحوذ على والدك.

تقصدين أنه أقنعه؟

بالضبط.

عزيزتي زيلدا. لقد جئت في الوقت المناسب. لقد كدنا نموت عطشاً. آنستي، لم ننجح في إقناعك بتذوق شاينا الرائع.

أنا لا أحب الشاي مدام روزيلا. إنه يجعلني متوترة بعض الشيء.

سجائر؟

أدخن، لكن يحدث هذا نادراً...

تصرفي كأنك في منزلك. يمكنك أن تدخني هنا. لا يسبب تدخين القليل من السجائر أي ضرر لي إذا كنت تخشين عليّ.

لا تقولي هذا.

حسناً. أنت محقة. لا يجب أن أبدي أسفي أو شعوري بالأسى. لابد وأن هناك علبة سجائر هناك في الدرج، إذا كنت تريدين.

أشكرك. في الواقع تشعرني السجائر بشعور سيء.

دوار؟

لا شيء آخر. لا يمكنني أن أعبِّر عن هذا أيضاً. إلى جانب أنني لم ألتق بشخص لديه نفس المشكلة. أشعر بالاكتئاب حين أدخن. ثم يغمرني شعور

بالذنب والفزع. شيء مقرف.

ربما نستطيع أن نجد تفسير فرويدي لهذه المشكلة.

يا ليت! لقد أصبحت مهووسة بفرويد في السنوات الأخيرة.

مهووسة بفرويد؟

أعني أنني ذهبت للكثير من الأطباء النفسيين.

هل ترغبين في التحدث في هذا؟

ليس الآن مدام روزيلا. ربما في يوم آخر.

حسناً. ما الذي كنا نقوله؟

لقد أقنعت والدك.

نعم. كان زفافنا جميلاً... في الصباح، كانت السعادة تملأني بينما كنت أتمشى في كورفورشتيندااما. كان ألدو سعيداً في هذا اليوم مثل طفل صغير. وقعت بعض الاختلافات بين عائلتي وأقاربه الذين جاءوا من إسطنبول على مسائل تافهة مثل الموسيقى التي ينبغي أن تُعزف، لكن كما قلت كان هذا لفترة من الزمن.. زمن مقتطع من الحياة. في نهاية الليلة حتى الذين لم يحبوا أقاربهم الجدد بادئ الأمر انخرطوا في عناق حميمي معهم. خلاصة الأمر، أننا كنا في منتهى السعادة، وكنا نعتقد أننا سنعيش في سعادة إلى الأبد.

ألم يحدث هذا؟

لا، لسوء الحظ لم يحدث.

ياه! لكن لماذا؟

كل شيء محتمل في الحياة يا آنستي.

ماذا تقصدين؟

قبل أن تعرفي باقي القصة ينبغي أن تخبريني بشيء أولاً. إن المحادثة لا تقوم إلا بوجود طرفين.

..؟

كلي آذان صاغية.

هل تحاولين أن تجعليني أتكلم؟

لا، لكن سيكون من اللطيف أن تتحدثي عن نفسك قليلاً. وإلا سأبدأ في الاعتقاد بأني أشبه عجوز خرفاء.

مدام روزيلا، أنا حقاً لا أحب الحديث عن نفسي.

ولم لا؟

بالإضافة إلى أنني ليس لدي الكثير لأحكيه...

لكل شخص حكاية يا عزيزتي بيلين... ما دامت زيلدا هنا ومعها صينية الدواء، فلابد أن الوقت تأخر. حسناً، فكري في كلامي. أعتقد أن ما قلته كان واضحاً. إذا أدخلتيني إلى عالمك في المرة القادمة، ستستمعين إلى باقي قصتي.

إنك تتصرفين مثل سيدات الأعمال يا مدام روزيلا.

أنا يهودية عزيزتي بيلين.

اعتني بنفسك إذاً...

وداعاً!

(2) داء أولسون: مرض نادر، يحدث نتيجة تلف أكثر من 90٪ من الغدة الكظرية مما يؤدي إلى نقص هورمون الكورتيزون.

(3) راينر ماريا ريلكه: (1875 - 1926) شاعر ألماني، ولد في مدينة براغ التشيكية. عاش حياة بوهيمية. وكان معروفاً عنه معالجته لموضوعات ومفردات الحزن والموت والعزلة.

(4) «الوحدة مثل المطر، فهي تصعد من البحر لمقابلة المساء» آر إم ريلكه.

5

حسناً آنستي. كلي آذان صاغية.

أنت لا تيأسين أبداً، أليس كذلك؟

لقد اتفقنا.

لكن اتفاقنا ليس كتابياً.

الثقة هي كل شيء بالنسبة لليهود. عندما تعدين، ينبغي أن تفي بوعدك. وقد أعطيتيني وعداً.

إذاً، ما الذي عليّ أن أفعله؟

حدثيني عن نفسك.

لم أعتد الحديث عن نفسي.

إذاً دعيني أساعدك. هل تحبين الرجال؟

ماذا؟ كان هذا سؤالاً مباغتاً!

هل تحبين الرجال؟

مدام روزيلا، أليس هذا الموضوع شخصياً للغاية؟

اعتقدت أنك تريدين الاستماع إلى باقي الحكاية.

نعم وبكل صدق.

إذاً ينبغي عليك أن تتحدثي. حدثيني عن نفسك. أنت جميلة جداً على أن تبقي هكذا بمفردك؟ هل لديك حبيب مثلاً؟

...

ليس لديك؟

حسناً... ليس بالمعنى الكامل.

مما يعني

هناك ذلك الشاب اليوناني في المدرسة.

هل هو وسيم؟

نعم... أقصد أنه وسيم نوعاً ما.

هل تخرجان؟

أحياناً ما تقولين أشياء تجعلني لا أستطيع أن أصدق أنك لم تذهبي لإسطنبول منذ ستين عاماً.

آنستي، هناك ذلك الشيء الذي يدعونه تليفزيون. والقنوات التركية متاحة من خلال الأقمار الصناعية. أحياناً ما أشاهدها. خاصة الأفلام القديمة.

لكنني أصاب بالصداع بعد فترة من مشاهدة التليفزيون.

إذاً، لماذا تحتاجينني؟

لا يمكن للتليفزيون أن يتحدث إليّ، لكن يمكنك أنتِ أن تفعلي. كنتِ تحدثين عن الفتى اليوناني. هل تخرجان؟

لا، لم يحدث إلى الآن.

لكنه معجب بك، أليس كذلك؟ ما اسمه؟

ديمتري.

هل هو طالب أيضاً؟

نعم... إنه ابن مالك سفينة يوناني.

إنه وسيم وثري. ما الذي تفعلانه مع بعضكما البعض؟

لم نبدأ في فعل أي شيء مع بعضنا البعض مدام روزيلا... مازلنا نتعرف على بعضنا الآخر.

جميل... وماذا عن الآخرين؟

الآخرون؟

لو أن الوريث الوسيم لمالك السفينة اليوناني معجب بك وأنت مازلت مترددة، فلابد أن هناك آخرون.

يا إلهي!

ألا يوجد آخرون؟

نعم.. هناك آخرون.

إذاً أخبريني. هل تريدين أن تقتليني بالفضول؟

هناك رجل روسي.

روسي؟ يا له من شيء رومانسي. ما اسمه؟

إيفان.

امم... في الحقيقة أنا لا أحب هذا الاسم.. لكن الرجال الروس يعشقون نساء البحر المتوسط. خاصة الجميلات مثلك.

هذه مجاملة منك!

أخبريني عن إيفان... ما شكله؟ قوامه، وجهه...

أشقر، طويل... رجل سلافي نموذجي.

ما الذي يفعله كي يُبهرك؟

لكي يُغريني؟

أهكذا تقولونها هذه الأيام؟

نعم...

لقد اقترح أن نقضي عطلة نهاية الأسبوع الأخيرة في فندق بجوار البحيرة.

ماذا؟! روسي حقيقي... جريء ومغامر. وهل قبلت دعوته؟

بالطبع لا.

ياه! خشيت للحظة أن تكوني قد قبلت. من فضلك كوني حريصة في مثل هذه الأمور.. إذا بدأت الدعوة الأولى بشيء جريء كهذا، فإن هذا يعني أحد احتمالين. إما أن يراك نزوة عادية، أو أنه في المستقبل سيقترح أشياء أكثر غرابة.

مثل ماذا؟

أطلقي لخيالك العنان.

لأنه روسي؟

لا، لأنه رجل.

أوه، لا لا يا مدام روزيلا...

لا تضحكي. أقول لك هذا عن خبرة...

وأنا أحترم ذلك.

أخبريني بالحقيقة. هل ذهبت إلى الفندق أم لا؟

قلت لك إنني لم أفعل! بالإضافة إلى أنني لست حرة أتحرك كما أريد في هذه المدينة.

ولِمَ هذا؟

لأن هناك من يتبعني.

يا إلهي... رجل آخر؟

لا.. أعني، نعم هو بالطبع رجل. لكنه لا يتبعني لأني أعجبه، ولكن لأنها رغبة أبي.

صدقاً؟

نعم... لدى أبي سلسلة فنادق في تركيا. وسيطرته تمتد إلى هنا نتيجة لعلاقات العمل التي يتمتع بها. أعتقد أنه طلب من أحد أصدقائه أن يوفر له شخصاً يتتبعني.

هل أنت متأكدة من هذا؟

نعم. لقد أخبرني بنفسه. في الحقيقة لقد قال إنه فعل هذا كي يتأكد من سلامتي. فليقل هذا لأحد غيري! ربما يعتقد أنني غبية جداً لدرجة أنني لا أدرك أنه يحاول السيطرة عليّ حتى عندما أكون بعيدة عنه.

هذا مزعج للغاية.

بكل تأكيد.

وماذا عن والدتك؟

ليس لي أم.

حقاً؟

هي لم تمت. لا تقلقي. لقد وقعت في حب رجل آخر عندما كنت في الثانية من عمري فقط وتركتنا.

أنا آسفة للغاية.

لا عليك. تعلمت ألا أشعر بالأسى على نفسي بعدما كبرت. ويبدو أن أبي الذي لم يرد أن يحدث أي شيء لفتاته الصغيرة في هذه البلاد الغريبة قد وجد هذا الحل.

دقيقة واحدة... هل يتبعك هذا الرجل وأنت في طريقك إلى هنا أيضاً؟

بكل تأكيد.

يا إلهي! إذاً أين هو الآن؟

ليس لدي أدنى فكرة. أوه، إنه هناك! يقف تحت الشجرة.

دعيني أراه... هل هو هذا الرجل الطويل النحيف؟

بالضبط.

لكنها تمطر في الخارج.

مما يعني؟

سيُصاب هذا المسكين بالبلل.

طالما أنه سيتحمل الوقوف تحت المطر، فلابد أنه يحصل على الكثير من المال.

هل نطلب من زيلدا أن تعطي لهذا المسكين بعض الشاي؟

لا تفعلي هذا أبداً من فضلك...

لكنه مبتل للغاية.

إنها ليست مشكلتنا، أليس كذلك مدام روزيلا؟ طالما أنه قبل بالوظيفة، فاتركيه يعاني!

أنت قاسية...

أعرف.

أنت أدرى وأنت محقة. من يعرف، ربما يبدأ في التردد على المنزل بعدها! يا إلهي! مجرد التفكير في هذا يجعلني أرتعد.

لا تقلقي. لا أعتقد أنه خطير.

هل أنت متأكدة؟

نعم، لا أعتقد أنه كذلك.

آنستي، أشعر بالاطمئنان الآن.

هل ستفصلينني عن العمل الآن؟

بالطبع لا. أين توقفنا؟

لا أذكر.

آه، نعم... الرجل الروسي. إيفان. وهل قام بأي محاولات أخرى؟

لا لم يقم بأي من ذلك إلى الآن.

وماذا عن الآخر؟

الألماني؟

ماذا؟! هل هناك ألماني أيضاً؟

لكنه لم يحاول حتى الآن. إنه أستاذ. أستاذ مساعد. ليس في وسامة الآخرين، لكنه يفهم النساء بشكل أفضل نتيجة لسنه وخبرته.

كيف عرفت هذا؟

إنه يكتب لي خطابات طويلة بخط رائع.

يتحدث عن حبه؟

لا في الواقع... إن هذه الخطابات تشبه المقالات نوعاً ما وهي عن الحياة والحب.

جميلة جداً.

فاشلة جدا !

فاشلة؟

أعني، هراء. كلمات فارغة.

وكيف تردين عليه؟

أقرأ الخطابات، وأكتب تعليقات وأعطيها له كما لو أني قمت بعمل نقد أدبي.

أنت قاسية!

لا في واقع الأمر. إنه الطرف الذي يريد أن يلعب اللعبة. وأنا أشارك فقط في هذا الهراء.

إذاً، ما الذي ستفعلينه؟ هل ستتعاملين مع ثلاثتهم؟

مدام روزيلا... تبدين مندهشة.

نعم، بعض الشيء.

إذاً ينبغي عليك أنت أيضاً أن تحكي لي بعض الأشياء. بالطبع إن كنت ترغبين في الاستمرار في السماع إلى قصصي في وقت لاحق.

هل هذه معاملة بالمثل؟

أعتقد هذا.

وماذا لو رفضت؟

إذاً لن يسمع أي منا أي قصص. وسيكون الصمت هو المسيطر.

وسيكون الصمت هو المسيطر.. آنستي، أنا لا أحب هذه الجملة. دعيني أكتبها. وإذا سمحت، لتكن هذه هي الجملة الأخيرة في جلستنا اليوم.

6

أهلا عزيزتي بيلين! أرى أن رقيبك الماكر قد اتخذ موضعه بالفعل.

صحيح. إنه يحب هذه الشجرة بالتأكيد. أتعرفين؟ لقد عرفت أخيراً من هو.

حقاً! ومن هو؟

لن أخبرك. ينبغي عليك أن تكملي قصتك أولاً.

لكن..

كلي آذان صاغية.

هل يمكن أن تخبريني أولاً؟

أنت من وضع القواعد سيدة روزيلا!

حسناً... أين توقفنا؟

عند السنوات الأولى من زواجك...

السنوات الأولى...

صحيح. السنوات الأولى...

كانت سنوات هادئة للغاية. عمل ألدو في الجامعة وانشغلت أنا بتربية ابنتنا تانيا التي ولدت بعد عام واحد من زواجنا. كانت فتاة مبتهجة، ومفعمة بالصحة. على الرغم من أنها ولدت قبل شهرين من موعد الولادة المتوقع، إلا أنها تعلقت بالحياة تعلقاً شديداً. بالإضافة إلى هذا، فقد ساعدنا أبي، الذي بدأ في الانسجام مع ألدو بشكل جيد، من الناحية المادية بين الحين والآخر. وكما ترين فقد كنا قريبين للغاية من تلك اللوحة التي تدور عن السعادة التي

سأل الشاعر الشهير «أبيدين دينو» (5) عنها، متسائلاً إن كان من الممكن رسمها. على الرغم من هذا فقد بدأت أصابع القدر تُكدر سعادتنا بعدها بوقت قصير.

هل تقصدين أدولف هتلر؟

نعم. هل أنت مهتمة بالتاريخ؟

أبداً. لكن النقطة التي توقفتِ عندها وأنت تحكين حكايتك المرة السابقة كانت مثيرة للغاية حتى أنني دخلت على موقع جوجل وقمت ببعض البحث. بالنظر إلى أنك يهودية وبالنظر إلى وقت حدوث قصتك، فلم يكن صعباً عليّ أن أخمن ما الذي أصابك.

إذاً، لابد وأنك قرأت عن «ليلة البلور».

لا.

هل ترغبين في معرفة معلومات عنها؟

بلا شك...

إذاً، من فضلك أغلقي عينيك.

لِمَ؟

لا مزيد من الأسئلة. فقط أغلقي عينيك.

فهمت.

هل أغلقتيها بشكل كامل؟

نعم.

أولاً، تصوري نافذة من زجاج. نافذة محل. أو الزجاج الموجود في مقدمة صوبة زجاجية للزهور.

امم.

هل يمكنك تخيل ذلك؟

نعم...

الآن تخيلي أن هذه النافذة تنفجر فجأة.

ماذا؟!

تخيلي أنها تنفجر! تتحطم إلى أجزاء صغيرة! مع انفجار كبير. هل يمكنك تخيل ذلك؟

نعم...

الآن تصوري آلافاً من هذه النوافذ. هل يمكنك ذلك؟

آلاف...

جميعها تتهشم إلى قطع بواسطة حجارة. مجموعة هائجة تنهب المحلات وتشعل فيها النيران.

مثلما في الأفلام.

نعم... كارثة مفجعة، صرخات تصم الآذان، وبيوت ومحلات وأحلام تحترق، وتتحول إلى رماد... دخان خبيث يصعد إلى أعلى في الهواء. وكما أقول لك لم يكن هذا فيلماً.

هل النازيون هم من فعلوا هذا؟

المحلات، والكنائس والمدارس احترقت... وأصبحت الأماكن كلها مليئة

بزجاج مبعثر في هذه الليلة من نوفمبر، حتى أن الشوارع كانت تلتمع تحت ضوء القمر. منظر يخطف الأنفاس... لهذا أطلق على هذه الليلة السوداء «ليلة البلور». بعد هذا اليوم، لم يشعر أي يهودي بالأمان في ألمانيا.

هل هذا هو السبب.

الذي جعلك تذهبين إلى إسطنبول؟

في الحقيقة كانت هذه رغبة أبي. لأن الحكومة النازية فرضت ضرائب مهولة من أجل التلفيات التي حدثت، ملقية المسئولية على اليهود. والأشخاص الذين لم يستطيعوا دفع هذه الضرائب تم إرسالهم إلى معسكرات الاعتقال. وطلب منا أبي أن نذهب ونعيش مع أقارب ألدو في إسطنبول قبل أن تخرج الأمور عن السيطرة بشكل تام. كان قلقاً بشأن سلامة جدته على وجه الخصوص. وقد خطط هو وألدو لكل شيء معاً. كان من المفترض أن آخذ ابنتي وأركب القطار وأتوجه إلى إسطنبول في بداية مارس. وأن يأتي ألدو إلى هذه المدينة التي نحن فيها الآن كي يحضر مؤتمر في الجامعة التي تدرسين بها.

أي مؤتمر؟ ألم يستطع أن يتخلى عن حضور مؤتمر في مثل هذا التوقيت؟

آنستي، لن تندهشي لو عرفت ألدو. كان يحب مهنته في المقام الأول، ثم بعدها يحبني أنا. ومن البداية، أكد على أن يعرِّفني أن عمله يأتي في المقام الأول. وقد قبلت به كما هو. حتى لو أن شياطين الجحيم وليس النازيون هم من جاءوا، لما كنا نستطيع أن نُغيِّر قراره بحضور المؤتمر.

فهمت.

لكنه فعل ما يتوجب عليه فعله. كانت تذاكر القطار محجوزة، وتم إخطار

الأقارب في إسطنبول. كان ألدو يخطط أن ينضم إلينا بعد المؤتمر. بالطبع، تمت كل الترتيبات بفضل مجهودات عائلة أحد الأصدقاء ويدعى سامي جونتسبرج، الذي كان طبيب الأسنان المعالج لأتاتورك، كما أن ألدو أنفق كل النقود التي كانت لديه. كانت الضرائب قد حطمت أبي بالفعل. وبينما كنا نودع بعضنا في محطة برلين، قلنا إننا سنشاهد أنوار البوسفور معاً خلال أسبوعين.

يبدو هذا جيداً بالنسبة لي.

أخبرني ألدو أنه كان يراسل الجامعات في إسطنبول وأن قبوله كعضو هيئة تدريس بات أمراً وشيكاً. في هذه الأيام، كانت الجامعات التركية ترحب بالأساتذة اليهود، خاصة في مجال العلوم الصعبة.

وهل سار كل شيء على ما يُرام؟

لا، أبداً. بعد أسبوع من وصولنا إلى إسطنبول، كان الجيش الألماني يتقدم نحو تشيكوسلوفاكيا. كان هتلر على وشك مهاجمة بولندا. وكل الطرق بين أوروبا وإسطنبول أصبحت غير آمنة فجأة.

إذاً، كيف استطاع السيد ألدو الذهاب إلى إسطنبول؟

هذه مشكلة في الواقع... فهو لم يستطع.

إذاً، كيف تقابلتما؟

لم نستطع أن نتقابل.

لكن الحرب استمرت خمس سنوات.

نعم.

هيا مدام روزيلا. لا يمكن أن يكون هذا ممكناً.

هذا ما حدث يا آنستي. لسوء الحظ لم نتمكن من لقاء بعضنا الآخر مرة أخرى إلا بعد أن انتهت الحرب.

---

(5) ايدين دينو (1993 - 1913) :Abidin Dino تركي من أصل يوناني، رسام ومصور يوناني معاصر، رسم كتب أشعار ناظم حكمت.

7

مدام روزيلا، أريد أن أطلب منك شيئاً اليوم.

وأنا أيضاً أريد أن أطلب منك شيئاً.

حسناً، أنت أولاً إذاً.

لا أنت أولاً.

حسناً. من فضلك اغفري لي فضولي، لكن ما الذي حدث لوالديك بعدما وصلتم إلى إسطنبول؟

ما الذي يمكن أن يكون قد حدث لهما في رأيك؟

مجرد التخمين يصيبني بالهلع.

هل شاهدت فيلماً عن الحرب العالمية الثانية من قبل؟ خاصة تلك الأفلام التي تدور في معسكرات الاعتقال؟

أوه، مدام روزيلا.. أنا آسفة...

على أي حال، ما فات قد فات. انتهى. دعينا لا نكدر صفونا. هل لي أن أسألك سؤالاً الآن؟

بالتأكيد. تفضلي.

والدك يمتلك فنادق، أليس كذلك؟

نعم.

إذا، أنت من عائلة ثرية.

نعم. ثرية تماماً.

إذاً؟

إذاً ماذا؟

إذاً، لا ينبغي أن تعاني من أي مشاكل مادية. لماذا تتحملين مشقة المجيء إلى هنا من أجل الحديث مع سيدة عجوز؟

سؤال جيد.

لقد أجبت مثل المشتغلين في السياسة. عندما يقول سياسي «سؤال جيد!» فهو في الواقع يتمنى لو يقول «اللعنة عليك!» ألم تجد سؤالاً أفضل من هذا؟»

أوه! صحيح.

إن لك ضحكة جميلة للغاية.

أشكرك.

ويا لجمالك حين تخجلين! لابد وأنك تخبلين الرجال.

مدام روزيلا، من فضلك...

وإجابتك هي...

أولاً، الحديث معك لا يضايقني. من فضلك كوني متأكدة من هذا. أعني في البداية ربما أكون قد فكرت في أن هذا سيكون مملاً، لكنني الآن أشعر باللهفة للمجيء إلى هنا.

أنا سعيدة حقاً بذلك.

ثانياً، الأمور بيني وبين أبي ليست على ما يرام. بعدما رحلت أمي، دخل العديد من النساء حياة أبي وخرجن منها. حتى أنه ارتبط بالقليل منهن. لكن لم يحدث أن تعاطفت أي منهن معي.

لِمَ؟

في الحقيقة، لا أستطيع أن ألومهن. فأنا كنت دائماً طفلة فظيعة، وكنت أحاول أن أجعل الجميع يدفعون ثمن الألم الذي سببته لي أمي. وطبيعي أن يكون لهذا أثر سيء على حياة أبي. من الصعب أن أشرح لك كيف حاولت كل هؤلاء النساء المسكينات أن يناضلن من أجل إخفاء كراهيتهن لي. فمن ناحية كانت ثروة أبي تجذبهن إليه، ومن ناحية أخرى كانت ابنته البشعة تنفرهن منه. لا يمكنك تصور ما فعلته من أجل أن أفقدهن أعصابهن.

على سبيل المثال؟

في البداية بدأت بمشاكل بسيطة وبالتدريج قمت بزيادة الجرعة. حدثي ولا حرج! نوبات عصبية في المطاعم، سلوك اكتئابي في العطلات، الانعزال داخل غرفتي... حتى أنني مثلت أنني انتحرت في مرات قليلة...

لو أنني شاهدت هذا لاستمتعت به.

أراهن أنك لن تفعلي.

كيف كنت تحاولين الانتحار؟

كان تعاطي الحبوب المنومة هو طريقتي المعتادة. مع الوقت، أصبحت ماهرة حقاً في حساب الجرعة الصحيحة والتي ستجبرهم على أخذي إلى المستشفى حتى يغسلوا معدتي. وسرعان ما انهارت أعصاب هؤلاء النساء حتى أن علاقتهن بأبي بدأت في التدهور. ثم كان أبي يشعر بالضيق والملل بسبب عصبيتهن ومزاجهن المتوتر. بعد أن أحقق هدفي في تحطيم معنوياتهن، كنت أجلس هادئة أشاهد كل شيء في سكون كما لو أنني لم أتسبب في كل هذه المشكلات.

هل ستغضبين لو أنني انفجرت في الضحك وأنت تتحدثين؟

لا. ولِمَ أغضب! أنا أيضاً تبدو لي هذه الأمور مضحكة الآن. بالطبع لم يكن هذا مضحكاً بالنسبة لأبي..

ألم يتحدث معك أبداً بهذا الشأن؟

حاول مرات قليلة أن يتحدث معي بهدوء. مثل تلك المحادثات التي تريننها بين الأب وابنته في المسلسلات التليفزيونية الأمريكية. لكنني كنت أعرف هدفي، لذا لم أستسلم أبداً.

و...

وفي النهاية... أنا هنا...

إذاً، فقد تم نفيك إلى هنا.

بالضبط. كما قال السيد ألدو من قبل. في هذه الأيام، كان لأبي علاقة يأخذها على محمل الجد. بصراحة، كانت العلاقة بسيدة جميلة بالفعل. عارضة أزياء سابقة. شعرها طويل، وأسود، ولامع، ساقاها طويلتان، وكانت تلبس أحذية لها كعوب عالية... كانت تبدو مثل الجياد التي نراها في السباقات.

إذاً، فقد وقع في حبها.

أوه! كان مجنوناً بها، ولأنه كان يخشى من أن أفسد كل الأمور فقد وجد هذا الحل. ففي اليوم الذي تلقيت فيه شهادتي الثانوية، كانت كل الترتيبات لإلحاقي بالجامعة هنا قد تمت.

هل أنت غاضبة من أبيك؟

لا أعلم... اعتدت على الغضب منه. كنت مليئة بالغضب. ففي كل مرة

كنت أرى أبي فيها ممسكاً بذراع جميلة شهيرة على أغلفة المجلات، كنت أشعر كما لو أنني قد ألقيت نفسي من فوق برج جلاطة.

أوه.. برج جلاطة!.

لم أر البرج عن قرب أبداً، لكن لابد وأنه مدهش.

هو كذلك بالفعل يا آنستي. مدهش جداً. حتى مجرد تخيل أنك ترمين بنفسك من فوقه لابد وأنه شيء جذاب للغاية.

حقاً؟ هل فكرت في هذا من قبل أنتِ أيضاً؟

كانت أسرة ألدو تعيش في شارع بويوك هندك في كولديبي.. تعودت أن أرى البرج من نافذتي وأتخيل فعل أشياء جنونية.

لكنك لم تفعلي هذا أبداً.

صحيح... لم تواتني الشجاعة أبداً. نوعاً ما، يُعتبر كل منا نموذج غير ناجح لهيزارفين جلبي (6).

صحيح. ليس لدينا أجنحة.

هل تزورين إسطنبول أحياناً؟

مرة كل أشهر قليلة. أسكن مع صديقة لي هنا.

لكنك لا تطلبين المال من أبيك.

في الحقيقة، أنا لا أريد ذلك. لكنني أحياناً لا أستطيع ألا أطلب منه عندما أكون في حاجة ماسة إلى المال أو حين تبدأ نزعتي الاستهلاكية في العمل. لكنني بعد كل مرة أشعر بالذنب كأنني بعت روحي. لا يريد أبي أن تكون لي وظيفة هنا. وذات مرة اختلفنا خلافاً كبيراً حين علم من

المراقب الذي استأجره أنني أبيع الصحف المحلية في الشارع. ومنذ هذا الحين ونحن لا نتحدث مع بعضنا البعض.

متى كان ذلك؟

في اليوم الذي زرتك فيه للمرة الأولى.

لماذا لا يريدك أن تعملي؟

أعتقد أنه على الرغم من كل عيوبه، فمازال يمتلك قلباً. حتى ولو كان قلباً صغيراً. ربما لديه ضمير. وربما يكون هذا لأنه يعرف أنه أرسل ابنته الوحيدة إلى هذه المدينة الباردة الكريهة حتى يرضي شهوته. هذا هو السبب الذي يجعله يحاول أن يُلبي كل طلباتي بكرم زائد. لكنني أريد أن أكسب المال، وأن أتخلص من الشيء الوحيد الذي يربطني به.

...

...

...

أنا متأسفة جداً مدام روزيلا.

لا توجد مشكلة. حقاً لا توجد مشكلة.

لا يمكنك أن تتخيلي كم أكره نفسي حين أنفجر باكية.

يمكنك أن تبكي يا عزيزتي. يمكنك أن تبكي في هذا المنزل حسبما تريدين. إننا نحتاج الدموع أيضاً في هذه الحياة.

هل يمكنني أن آخذ واحداً من هذه المناديل؟

بالتأكيد. زيلدا!

يا إلهي! أنا بالفعل أشعر بشعور مقيت. أنا أبكي مثل بلهاء.

لا، من فضلك «كَبَّري دماغك» !

أوه! ها ها! أنت أعظم مدام روزيلا. توقيت مثالي.

أعرف هذا جيداً. زيلدا! زيلدا، هل يمكنك أن تحضري للآنسة كوباً من شراب النعناع؟ وكوباً لي أنا أيضاً.

هل تتحدث زيلدا التركية؟

لست متأكدة، فهي لم تتحدث من قبل. ربما هي لا تفهم التركية لكنها تفهم ما أريده بالنظر إلى إيماءاتي وملامحي. وربما تكون قد تعلمت التركية بعض الشيء، حيث كنت أتحدثها أنا وألدو طول الوقت.

لابد وأنها مرت بوقت عصيب.

أنت محقة، آنستي. إن تعلم التركية بالنسبة ليهودية ألمانية ليس بالأمر السهل.

إذاً، كيف تعلمتيها أنت؟

كنت مضطرة لهذا. وجدت نفسي فجأة أعيش مع أقاربنا السفارديين الذين لا يتكلمون ولا كلمة ألمانية واحدة. في الحقيقة لقد كانوا جميعاً يتحدثون الفرنسية، لكنني شعرت برغبة في أن أُحسن لغتي التركية والتي علمني ألدو القليل منها. إلى جانب هذا لم يكن هناك ما يمكنني فعله. على الفور تحولت إلى ما يشبه بومة راقدة على بيض، فكنت أقرأ الروايات طول الوقت، وأستمع إلى الأخبار في الراديو عن الحرب وأنتظر وصول الخطابات من زوجي.

وهل أحبك أقارب زوجك؟

كانوا جميعاً لطفاء للغاية. أعتقد أنهم في البداية ظنوا أنني مغرورة. لم يقولوا هذا بصراحة، لكن يمكنني أن أقول إنهم لم يشعروا بالراحة بالقرب مني. عندما تذهبين إلى بلد جديد، يمكنك استشعار أبسط الأمور، ربما لأنك تحاولين حماية نفسك.

أوه! أنا أعرف هذا جيداً!

بعد أن وصلنا إلى إسطنبول بفترة، انتقلت الأسرة إلى منزلهم الصيفي في بويوكادا. أتذكر أنني أحببت رؤية الصنوبر الذي كان يغطي الجزيرة بينما كان قاربنا يقترب من المرفأ. كان بانتظاري هناك بيت خشبي له نوافذ بأطر مزدوجة وغرف لها رائحة الياسمين. كانت عربات تجرها أحصنة تمر في الطريق المجاور، وكانت هناك تكعيبة العنب، وسلالم في الحديقة مزينة بنباتات الكوبية والياقوتية. hydrangeas and hyacinths

يا له من شيء لطيف.

كانت هناك حجرتان للمعيشة، إحداهما كبيرة والأخرى أصغر، وغرفة سفرة، ومطبخ... السجاد على الأرضية الخشبية، أسرة خشبية بمحاذاة الحوائط، وأكياس مخدات مرسوم عليها سنوايت... كل شيء في المكان حي في ذاكرتي.. كأنه كان بالأمس.

مدام روزيلا، أنت تحكين هذا بشكل لطيف للغاية.

ثم صيحات الباعة الجائلين في الشارع... الشهد، الجبن الأصفر، الكوسة.. الفطائر والبوييكو boyikos التي كانت حماتي تخبزها.

البوييكو؟

نعم.

نوع من البسكويت المعمول بالجبنة. كما يمكنك إضافة نكهة عليه بإضافة الفلفل والسكر.

يبدو ممتازاً!

إذا كنت تريدين، يمكن لزيلدا أن تخبز لنا بعضاً منه الأسبوع القادم.

حسناً، لا يمكنني أن أرفض.

ولا ينبغي عليك أن ترفضي! في رأيي أنت لا تحتاجين إلى عمل حمية غذائية. في الواقع، من الأفضل أن تزيدي في الوزن قليلاً.

حسناً...

لنرجع إلى موضوعنا، لأنني كنت امرأة صغيرة من بلد شمالي، فقد شعرت بأنني غريبة بين كل هؤلاء الأشخاص المنتمين إلى البحر المتوسط. لكن من ناحية أخرى، شعرت أنهم كانوا معجبين بي نوعاً ما ودون أن يظهروا ذلك. كانوا يصفونني بأنني « blako komo la nyeve»..

ما معنى هذا؟

بيضاء كالثلج.

واو!

كان شعري الأشقر وعيناي الزرقاوتان اللامعتان وبشرتي البيضاء تبهر كل من الرجال والنساء. حتى أنهم حسدوا ألدو.

لا أستطيع أن ألومهم.

ها قد جاء مشروب النعناع! أنا متأكدة من أنك لم تتذوقي شيئاً كهذا من قبل.

أنت محقة... أشكرك يا زيلدا.

في هذه السنوات، لم يكن اليهود في تركيا يعيشون حياة رائعة. لم يقعوا في أيدي النازيين لكنهم كانوا واعين بأن الخناق يضيق عليهم تدريجياً. كانت كلمة يهودي تثير مشاعر معادية في المجتمع حتى وإن لم تكن هذه المشاعر في قوة مشاعر الكراهية ضد الألمان.

لكن لم هذا؟

كان هناك العديد من الأسباب. أولاً، افترض الجميع أن اليهود أثرياء. اعتقد الناس أن اليهود الذين لم يدخلوا إلى الخدمة العسكرية أصبحوا أثرياء بينما كان شباب الأتراك يموتون في الحرب. وشعر اليهود أنهم ينتمون أكثر إلى عالم الغرب. كانوا مثل الضيوف في تركيا. وقد عاشوا في مجتمع منغلق وتحدثوا بالفرنسية فيما بينهم أثناء وجودهم في أماكن عامة؛ فكانوا يتحدثون بها على سبيل المثال وهم على ظهر قارب متجه إلى الجزيرة، كانوا يثيرون ما تعرفينه عن المسلمين...

يثيرون ماذا؟

لا أستطيع أن أجد كلمة مناسبة.

كراهيتهم؟

لا ليس إلى هذا الحد.

رد فعلهم.

لا...

تعصبهم؟

نعم. تعصبهم؟ على أي حال، إن هذه ذكريات مملة.

أعتقد أنني جاهلة جدا في الواقع.

لا، أنت صغيرة للغاية.

من فضلك استمري.

أخشى أن تُصابي بالملل.

وما الذي سيحدث إذا ما أصبت بالملل؟

لا شيء.

لا شيء؟

ربما لن تأتي إلى هنا مرة أخرى.

و؟

لن تكوني هنا.

...

وستتركيني وحدي.

هيا مدام روزيلا.

كما ترين... فأنت لست الطفلة البكاءة الوحيدة في هذه الحياة.

إن يديك باردتان. هل تشعرين بالبرد؟

بعض الشيء... أعتقد أنني متعبة أيضاً. هل تمانعين إذا ما أوقفنا جلسة اليوم؟

لا، على الإطلاق. لكن هل يمكن أن أمكث هنا قليلاً؟ حتى إذا لم

نستكمل حديثنا.

بالطبع! امكثي كما تريدين. يمكننا أن نستمع لبعض الموسيقى. أي نوع من الموسيقى تحبين؟

أفضل ألا أجيب على هذا السؤال.

لسوء الحظ، ليس لدينا أي تسجيلات لـ «بلاسيبو» (7) Placebo هنا.

أوه! هل قرأت هذا الاسم على التي شيرت الخاص بي؟

نعم. سيدة جميلة للغاية.

ها ها!

ماذا حدث؟

مدام روزيلا، إنها ليست سيدة. إنه مغني في الفرقة. برايان مولكو (مغني وكاتب أغاني وعازف جيتار لفريق بلاسيبو).

أترين! ها قد أصبحت خرفاء!

دعيني أخبرك بأن ابتسامتك أنت هي الابتسامة الرائعة!

أشكرك. لكنني أخاف من أن تشعري بالبرد في هذا التي شيرت.

لا، المنزل دافئ بالفعل.

هل تحبين برامز؟

لسوء الحظ، إن هذا شيء آخر أجهله.

إذاً، دعيني أتشرف بتقديم برامز لك. دعيني أبحث عن التسجيلات الخاصة به... في أي درج كانت؟

وسأقدم لك بلاسيبو وشبينيم فرح (8) Şebnem Ferah في وقت آخر.

وأنا أتطلع لهذا. أوه! إن خصري يؤلمني بشدة حين أنحني هكذا!!

هل تريدين أن أساعدك؟

لا حاجة لهذا. لقد وجدتها بالفعل. بالمناسبة، ستخبرينني بالرجل الذي يتبعك كل يوم.

أوه، نعم... لقد اختفى دون أي أثر.

لم؟

أعني أننا نسيناه تماماً.

دعيني أنظر.. أوه يا إلهي! إنه يجلس على سور الحديقة ويرتعش تحت المطر.

إنه حلواني.

حلواني؟

نعم... إنه يعمل في محل المخبوزات الخاص بفندق السلام.

كيف عرفت؟

لقد تبعني بالأمس في الظهيرة بينما كنت في طريقي لسكن الطلبة. تظاهرت بأنني أدخل المبنى لكنني في الواقع اختفيت في زاوية. ثم بدأت أتتبعه.

حقاً؟ يا إلهي! أنت جريئة.

أتعرفين؟ لو أردت لأصبحت مراقبة أفضل ألف مرة من هذا المعتوه.

إنه حتى لم يلاحظني حتى وصل إلى الفندق. ثم دخل إلى محل المخبوزات، وارتدى مريلته البيضاء ثم أخذ مكانه خلف الطاولة. سحبت غطاء الرأس لأعلى ودخلت إلى المحل. بينما كنت أستمع إليه وهو يتحدث إلى رئيسه، عرفت اسمه.

إذاً، ما اسمه؟

ساركيس. ساركيس الحلواني. أليس هذا ظريفاً؟

ثم؟ ألم يرك؟

نزعت غطاء الرأس ووقفت أمامه مباشرة، ثم طلبت منه اثنين من الكرواسون. أتمنى لو أخذت صورة لهذا الأحمق في هذه اللحظة كي أريها لك. لقد صدم! أما أنا فقد أخذت الكورواسون الخاص بي وعدت إلى غرفتي شاعرة بالنصر.

آنستي، ينبغي أن أخبرك بأنك حكيت الحكاية الأفضل في نهاية الجلسة. لقد كنا بالفعل في حاجة إلى حكاية مثل هذه كي ننهي يومنا بشيء يبعث على السرور.

حسناً، أنت محقة!

---

(6) عاش هيزارفين أحمد جلبي في إسطنبول في القرن السابع عشر. نجح في الطيران دون أن يتأذى من خلال اختراع قام بصنعه بنفسه. فقد تمكن من الطيران من برج جلاطة إلى أسكدار من خلال اختراع يسيره صاروخ. وقد كافأه السلطان مراد الرابع الذي شاهد الرحلة من سارايبرنو بالقرب من قصر الباب العالي.

(7) بلاسيبو Placebo: فريق غنائي إنجليزي يغني نوعاً من الروك. تأسس عام

.1994

(8) شيبنيم فرح: مغنية وكاتبة أغاني تركية، مواليد 1972. وتغني الروك.

8

آنستي، لقد افتقدناك!

متأسفة جداً على عدم حضوري الأسبوع الماضي. أصبت ببرد شديد. كل هذا بسبب ساركيس.

لم؟

كما تعرفين، لقد تتبعني بعد جلستي الأخيرة معك. وأنا أردت أن ألعب لعبة ماكرة عليه، وحاولت الدخول في بعض الأزقة الضيقة حتى يفقد أثري. لكن بينما كنت أجري يميناً ويساراً ضللت طريقي. وبدأ هطول المطر. وفي الوقت الذي وصلت فيه إلى سكن الطلبة كنت أقطر بللاً. على الفور ذهبت إلى السرير وبقيت به لمدة حتى ذهب البرد عني. بالمناسبة مدام روزيلا، لقد أخجلني كرمك كثيراً. أشكرك شكراً جزيلاً.

لا، من فضلك! لم يكن هذا بالأمر المهم.

كيف! كل هذه الأدوية والفاكهة...

من فضلك... هذا لا يستحق أن نذكره...

بالطبع يستحق. خاصة البوبيكو! أنا أقدر موهبة زيلدا.

بالهناء! أتمنى أن تكوني قد تسلمت كل شيء. أنت على ما يرام الآن وهذا هو ما يهم. صحيح، كيف حال صديقتك البلجيكية؟ هل مازالت تريد ن تغير غرفتها؟

لا تسأليني عنها! لقد وقعت في الحب. إنها تخرج مع شاب من المدينة. ولم تعد تأتي إلى الغرفة على الإطلاق. الأغلب أنها تسكن في بيت هذا الرجل.

إذاً، فأنت بمفردك تماماً.

لا عليك. هذا أفضل. لقد أصبحت الغرفة لي وحدي. في الحقيقة أنا أستمتع بالعزلة.

صحيح. العزلة لطيفة. بالطبع، إذا ما استطعنا الخروج منها وقتما نريد.

مدام روزيلا، هل أبدو لك فتاة وحيدة للغاية؟

لم أعني هذا.

إذا ما أردت، فيمكنني أن أجد على الفور شخصاً يمكث معي.

أنا متأكدة... وماذا عن معجبيك؟ الرجل اليوناني مثلاً؟

اليوناني... نعم... اممم... لقد استجمع كل شجاعته بالأمس أخيراً واقترح أن نتمشى معاً. وأخبرته أنه إذا ما أراد فيمكننا أن نمشي إلى المدافن.

معذرة، إلى أين؟

ألم أخبرك من قبل؟ أنا أزور المدافن كثيراً. أشعر بالراحة والسلام بين الأموات أكثر مما أشعر به بين الأحياء.

حقاً؟

في إسطنبول، كنت أزور مدافن آسيان أو كاراكاميت أو المدافن الأرمنية في صقلية.

ما الذي تفعلينه في المدافن؟

لا شيء. أنا فقط أجلس في ركن وأتوه بين الأفكار. في المدافن تدركين أن كل شيء هو في الحقيقة تافه وزائل.

أنت محقة.

يا إلهي! يا لـ غبائي!

ماذا حدث؟

لقد أفسدت مزاجك.

لا يا آنستي. على الإطلاق... كنت فقط أفكر. كنت أتساءل إن كان هناك شيء يتعلق بالموت ولم أتفكر فيه بعد. لقد رأيت الموت عدة مرات حتى أصبح جزءاً من حياتي... عندما ذكرت هذا الموضوع، شعرت كأنك تحدثين عن صديق لي.

إن الحديث معك ليس بالأمر السهل مدام روزيلا.

لأنني حساسة؟

لا، ولكنه ماضيك. لقد عشت حياة صعبة حتى أن كل المشكلات التي أشكو منها تبدو غير مهمة.

لا أوافقك الرأي.

ما الذي يجعل لحياتي العادية معنى أمام حياة إنسانة نجت من هتلر وانفصلت عن زوجها لمدة خمس سنوات؟

عزيزتي بيلين، ربما سر الحياة لا يكمن في الطريقة التي نعيش بها، ولكن في الطريقة التي نحكي بها عن حياتنا. هناك الكثير من الحيوات التي لا يوجد فيها ما يؤرقها، لكنها تتحول إلى قصة رائعة من خلال موهبة الحاكي.

لكن حياتك...

ما لها؟

حسناً، لا أستطيع أن أجد الكلمة الصحيحة هذه المرة...

طويلة جداً؟

لا.

حزينة؟

لا.

مملة؟

بالطبع لا.

كيف هي إذاً؟

ربما هي زاخرة.. أعني أن حياتك مليئة بالقصص وبنوائب الزمن.

حسناً، لن أبدي تواضعاً بهذا الشأن. إلى جانب أنك لم تستمعي بعد إلى الأجزاء الأكثر تشويقاً من الحكاية.

أنا متلهفة لسماع هذا.

لكنه دورك الآن.

أوه، من فضلك مدام روزيلا!

أنا جادة بهذا. يجب أن تحافظي على الاتفاق بيننا. هل ذهبت مع اليوناني إلى المدافن؟

هل يجب أن أتحدث عن هذا؟

بالطبع لا. مثلما لا يجب عليك أن تستمعي إلى باقي حكايتي.

أنت عنيدة للغاية. لكن هذا سيكلفك المزيد..

هل ترغبين في زيادة أجرك؟

لا. لكنني أريد المزيد من البوبيكو الذي أرسلتيه إليّ في سكن الطلبة حين كنت مريضة.

بالتأكيد! لا أشك في أن زيلدا ستستمتع بصنع المزيد منه.

حسناً، فيما يتعلق بالمدافن فقد ذهبنا إلى هناك. في الحقيقة كنت آمل أن يقلع عن الاعتقاد بأنني مجنونة بعض الشيء. بدلاً من هذا فقد حاول أن يُقبلني.

في المدافن؟

نعم... أعتقد أن رائحة الأرض المبتلة، وقطرات المطر المتسللة بين الشجر وأشياء كهذه كان لها أثر مثير لشهوة ديمتري. أو ربما اعتقد أنني أردت الذهاب إلى المدافن كي يستطيع أن يخلو بي دون أن يزعجنا أحد!

ألم تحبينها؟ أقصد القبلة؟

حسناً، في البداية أحببت ذلك... إنه ماهر في التقبيل. إنه يضع عطراً أخاذاً وله شفتان رائعتان. لكنني فقدت صبري عندما حاول أن يدفعني لأنام على الأرض المبتلة، عندها ضربته بركبتي في بطنه!

أوه! كنت أخشى أن تكوني قد فعلت شيئاً كهذا.

لكنه لم ييأس بعد أن تأذى من ضربتي. حتى أنه أخبرني أنه أعجب بي أكثر لأن ما يجعلني جذابة هو سلوكي العنيف.

وما الذي فعلتيه بعد هذا؟

أخبرته أنه إن أصر، فإن الضربة الثانية ستنزل على خصيتيه.

رائع... هل خاف؟

قال إنه يحبني.

وماذا كانت إجابتك؟

أخبرته بأن يتوقف عن هذا الهراء.

هل تؤمنين بحبه لك؟

مدام روزيلا، إن أردت الصدق فأنا لا أؤمن بحب أي شخص في هذا العالم.

ولم لا؟

لأنني أعتقد أن كل هذا الحديث عن الحب هو خدعة من الخدع التي اخترعها الجنس البشري.

أتعتقدين أن هذا صحيح؟

أعتقد أن الحب هو مجرد طريق مختصر من أجل الوصول إلى الجنس بأسرع ما يمكن. من أجل أن تُباع المزيد من الألبومات وكي يذهب المزيد من الناس إلى السينما. ونحن جميعاً نشتريه مثل الحمقى لأنهم يقنعوننا فعلاً بأنه حقيقي. وقد خدم الكُتَّاب والشعراء هذا الهدف لآلاف السنين. في الحقيقة يدرك الناس أن خدعة رخيصة تُحاك عليهم، لكنهم غير قادرين على الاعتراف بذلك لأنفسهم. إن هذه الطبيعة الضعيفة للجنس البشري تقودني للجنون. لو أن رجلاً قال لي إنه معجب بي لأنه يريد أن ينام معي، صدقيني، سأحترمه أكثر! لكنه يبدو رخيصاً جداً بالنسبة لي حين يخرج من فمه كلمة «أحبك» الغبية تلك. الأكثر من هذا أنني أريد أن أقطع أعضاءهم لأنهم يستهينون بذكائي!

حقاً...

هل أخطأت في شيء؟

أنت تقولين هذه الكلمات بحماسة كبيرة حتى أنني لا أستطيع أن أفكر سوى في أنك محقة.

أعتقد أنني محقة، مدام روزيلا.

ربما...

ألا توافقينني الرأي؟

هل من المهم أن أتفق معك أو لا أتفق؟

بالطبع. في هذه المدينة ليس لي إلا أنت.

إلا ماذا؟

أعني أنك الفرد الوحيد الذي يمكنني أن أتحدث معه في هذه الأمور.

وماذا عن الآخرين؟

الآخرون؟

إيفان والرجل الألماني... ما اسمه؟

اسمه... امم... كلوس بيتر.

عندما يكون لك الكثير من المعجبين، يكون تذكر الأسماء أمراً صعباً. هل يستثير هؤلاء الرجال هذه المشاعر فيك أيضاً؟

بلا شك...

لكنني كنت أعتقد أنك تحبين الرجال.

لم أقل هذا أبداً.

على قدر ما أستطيع تذكره، فقد قلت.

أحبهم حين يكونون صادقين، وعندما يقولون ما بعقولهم بصراحة يا مدام روزيلا.

ليس لدي ما أقوله في هذا.

لكن لماذا أشعر أنك لا تصدقينني؟

ولماذا لا أصدقك؟

لا أعلم... أشعر أنك لا توافقين على فكري لكنك لا ترغبين في قول أي شيء حتى لا أنزعج.

أنا منشغلة أكثر بالتفكير في بقية القصة.

بعدها ذهبنا إلى فندق وضاجعني.

حقاً؟

أترين! مرة أخرى، لم تصدقيني!

هل ذهبتما بالفعل إلى فندق؟

بالطبع لا.

ما الذي فعلتماه؟

ما الذي كان بإمكاننا فعله! لقد مشينا الطريق بأكمله حتى سكن الطلبة دون أن نتبادل كلمة واحدة وافترقنا هناك. لا أعتقد أنه سيرغب في رؤيتي مرة أخرى.

هل سيزعجك هذا؟

لا أعلم... أنا حقاً لا أعتقد هذا. أعني، أنني لو أردت أن أجد محتالاً يقول لي إنه يحبني، فأنا أعتقد أنني يمكنني إيجاده بسهولة في الجامعة.

وماذا عن ساركيس؟

من؟ الحلواني؟

نعم. هل يمكن أن يكون مُحباً لك هو الآخر؟

أوه، لا يا مدام روزيلا...

لِمَ؟ إن الولد الفقير يترك عمله كل يوم ويقضي ساعات يتتبعك. ضعي نفسك مكانه.

مدام روزيلا، هل تعتقدين أن هذا ظريف؟

حسناً، سأبقي فمي مغلقاً.

لا، لا تفعلي. لأنه دورك الآن.

هل هو دوري فعلاً؟

ذهبت إلى إسطنبول وتعلمت التركية، وكان أقرباء ألدو متخوفين منك نوعاً ما.

نعم، بالضبط... لم يكونوا متخوفين مني في حقيقة الأمر، ولكن كانوا مترددين بشأن الطريقة التي يعاملون بها زوجة ابنهم الآتية من دولة أجنبية والتي عُهد بها إليهم.

حسناً، يمكنك أن تقولي شيئاً كهذا.

لم تتركني والدة ألدو وحدي في هذه الأيام. لقد فعلت كل ما بوسعها كي لا أحمل أي هم، بينما أنا في بويوكادا. في هذه الأيام، كانت بويوكادا

تُسمّى جزيرة اليهود. عكس هذا التعبير تذمر وكراهية تتزايد تدريجياً ضد أبناء موسى الذين كانوا يعيشون على الجزيرة. ربما لأنني كنت أجنبية، فقد استطعت أن أدرك الاختلاف بين اليهود والمسلمين. وكان طبيعياً كنتيجة لتجربتي المرة في ألمانيا أن أشعر أن هذه لم تكن علامة جيدة.

بالأمس بحثت على الإنترنت. قرأت عن الضريبة على الثروة وغيرها... أعتقد أنها بدأت حين كنت في إسطنبول.

نعم. لكن عند هذه النقطة من الحكاية، فنحن مازلنا في بداية الحرب... لقد قضينا أيامنا في بويوكادا نتحدث مع إخوة ألدو في نادي أناضوليا، نعتني بتانيا ونذهب إلى الشاطئ للسباحة كلما كان لدينا وقت. لقد أحبني كل أقاربي تقريباً. ولم تكرهني سوى جاكلين ابنة عم ألدو.

حقاً؟

نعم...

ما الذي كانت تفعله مثلاً؟

لا يوجد شيء محدد. لكن كلما تقابلنا صدفة كانت تُعلِّق تعليقات مزعجة، وتُلمِّح لأن زواجي بألدو قد جلب سوء الحظ للعائلة.

ولِمَ هذا؟ هل كانت تفكر في الزواج من السيد ألدو بدلاً منك؟

فيما يبدو أن الجميع في العائلة كانوا يعرفون أن حلم جاكلين الأكبر كان الزواج من ألدو. في أحد الأيام، عندما أخبرتني لينت، عرفت أنا أيضاً كل شيء. في الحقيقة، لقد انتظرت جاكلين لسنوات كثيرة ألدو حتى يكمل دراسته في برلين، ويعود إلى إسطنبول. لكن ألدو لم يعد وإنما أرسل صوراً يظهر فيها مع فتاة شقراء بجانبه، فمرضت البنت المسكينة وأصيبت

بالحمى للكثير من الأيام. الغريب أنها أصبحت منبوذة داخل الأسرة بسبب الحزن الذي أصابها. عندما ردت عليّ بفظاظة على الطاولة، أو حينما كانت تعترض عليّ بقسوة في أي موضوع، كان الجميع ينزعجون، لكنهم لم ينطقوا بأي شيء. بصراحة، كان وجودي في بوريوكادا عذاباً لها. يمكنني حتى أن أقول إنه بالرغم من أنها لم ترأي من النازيين من قبل، إلا أنها واحدة من اليهود الذين عانوا أشد المعاناة أثناء سنوات الحرب.

هل كان السيد ألدو على وعي بهذا الموقف؟

لا أعتقد ذلك... كان ألدو شارد الفكر، غارقاً في عمله بشدة حتى أنه لم يكن قادراً على ملاحظة العواصف التي تعصف داخل أي امرأة. لكن جاكلين كانت بالنسبة له واحدة من الفتيات الصغار اللطفاء في العائلة. لقد أحبها على حد علمي وكان يعتني بأمرها. وقد استاء بشدة حين لم تأتِ جاكلين إلى مراسم زواجنا.

موقف صعب بالفعل...

لم أغضب قط من جاكلين. كنت دائماً أبذل أقصى ما بوسعي كي أفهمها. حتى عندما حاولت أن تحطم حياتي.

تحطم؟ أشكرك يا زيلدا. مشروب النعناع هذا لذيذ.

عزيزتي زيلدا، هل يمكنك أن تضعي كوبي على الطاولة؟ لا أشعر بالرغبة في تناول الشراب الآن، ربما أشربه فيما بعد. ماذا كنت أقول؟

جاكلين... أرادت أن تحطم حياتك.

كنت أموت من الملل في بوريوكادا. بالإضافة إلى أنني كنت أحتاج إلى المال. كان ألدو قد أعطى كل النقود التي لدينا للموظفين الألمان في مقابل

ترتيب مغادرة برلين بأمان. ولم يكن أقاربنا في إسطنبول أغنياء. ولم أرد أن أشعر بأنني عبء عليهم حتى نهاية الحرب. بالإضافة إلى أنني لم يكن من الممكن لي أن أخمن متى ستنتهي. عندما أخبرت لينت بنواياي، اقترحت عليّ أن أعطي دروس بيانو. لم يحدث أي شيء في الأسابيع الأولى، لكن بعدها علمنا أن عائلة ذات نفوذ في أياس باشا كانت تبحث عن مدرس بيانو لابنتهم. وفي يوم دافئ جداً من يونيو، أخذت أنا ولينت القارب. ومن ثم بدأت أكثر المغامرات غرابة في حياتي.

...

...

مدام روزيلا، لو توقفت هنا، سوف ألقي بنفسي من هذه النافذة!

لسوء الحظ، فأنا سأتوقف يا آنستي... أشعر بأني متعبة جداً، وقبل أن أكمل حكايتي، أود أن تخبريني بأشياء أخرى.

مثل ماذا؟

دعينا نتكلم عن هذا في الأسبوع القادم إذا أردت. من فضلك استمتعي الآن بشرابك وأخبريني ما الموسيقى التي تفضلي أن تستمعي إليها.

ماذا عن برامز؟

أرى أنك أحببت موسيقاه.

«أحببت».. كلمة أقل مما حدث. يمكن للمرء أن ينطلق وأن يؤمن بالرب فقط بسبب هذه الموسيقى.

حسناً... إضافة إلى كلامك، فالتلمود يقول إن «الموسيقى صلاة».. دعيني أجد هذا التسجيل.

9

هل أنت على ما يُرام؟

لست متأكدة...

لم لا تستلقين على الأريكة؟

نعم، أعتقد أن هذه فكرة جيدة. لو أن هذا لن يتعبك..

إن وجهك شاحب. هل أطلب الطبيب؟

لا، ليس الآن.

مدام روزيلا، ما الذي ننتظره؟

لا داعي للقلق... ربما لو استلقيت... مررت بأسبوع صعب... أنا معتادة على هذه الأعراض، لكنها المرة الأولى التي تهاجمني كلها مرة واحدة بطريقة منظمة.

لِمَ لم تعلميني؟

حتى لو أخبرتك، فلن يكون بإمكانك أن تفعلي أي شيء... هل يمكن أن توقفي الزمن؟ هل يمكنك أن تجدي علاجاً للعمر المتقدم؟

لا، لكن يمكنني أن أمسك يدك. هكذا...

أنت ملاكة حقيقية.

لا تقولي هذا!!

من فضلك أخبريني عن أم والدك؟

الآن؟

ربما أمكنني أن أستجمع بعض قواي كي أستمر في حكايتي بينما تتكلمين وأنصت.

في الحقيقة، لقد كانت تشبهك قليلاً.

حقاً؟

أقصد، أنها لم تكن لتنافسك في الجمال بالطبع. لكنها كانت امرأة ذكية جداً من منطقة البحر الأسود. كانت الشخص الوحيد الذي كان أبي يخاف منه.

ماذا كان اسمها؟

علوية... علوية أقطاي.

هل كانت تحبك كثيراً؟

لم يحبني أحد سواها.

من فضلك... أنا أحبك أيضاً.

أعرف هذا مدام روزيلا. قصدت أن أقول قبل أن أعرفك.

هل تعيش في إسطنبول؟

بعدما مات جدي، أتى أبي بجدتي من ترابزون إلى إسطنبول وأسكنها شقة في إتلير. وكانت جدتي في كل مرة تغضب فيها تقول لأبي إنها ستعود إلى ترابزون، لكنها في النهاية كانت تتخلى عن هذه الخطط في كل مرة. حتى أنها حزمت أمتعتها مرتين وذهبت إلى محطة الأتوبيس حينما كانت تستشيط غيظاً.

امرأة قوية.

أعتقد أنها كانت أيضاً امرأة حكيمة جداً. كانت دائماً ما تعرف الأسباب الحقيقية وراء أفعالي. وحدها كانت تعرفني بالفعل. كنت معتادة على قضاء أغلب الوقت مع جدتي.

هل تفتقدينها؟

عندما رحلت، لم أستطع أن ألملم نفسي لأسابيع. فقد كانت بمثابة أمي وأبي.

فلترقد في بهاء سماوي.

آمل ذلك. إن لم تتدخل، لكان والدي قد أرسلني إلى الخارج منذ فترة طويلة. إن إتمامي دراستي الثانوية في إسطنبول هو شيء أدين به لجدتي. عندما أراد أبي أن يدخلني إلى مدرسة ثانوية خاصة في إنجلترا، أثارت جدتي الكثير من الجلبة وكانت غاضبة لدرجة أن صوتها وصل «ترابزون» في الغالب.

هل تعتقدين أنك أخذت صفات من جدتك؟

أعتقد أنني ورثت منها ابتلاءاتي التي تشبه المياه الهائجة في البحر الأسود وأيضاً عنادي. في النهاية تَشَكَّل عالمي الداخلي في هذا الوقت الذي عشته مع جدتي، وقد أثر في كل شيء قالته لي.

ماذا عن الشكل؟

لا، نحن لا نشبه بعضنا.

ومن تشبهين؟

أمي... هكذا يقول الناس على الأقل.

هل أنت غاضبة من أمك؟

ربما يكون هذا غريباً، لكن غضبي منها لم يهدأ أبداً.

لقد ذكرتِ هذا من قبل، لكن لماذا انفصلت عن أبيك؟

لقد وقعتْ في حب رجل آخر.

أمك؟

نعم.

من قال لكِ هذا؟

حسناً، سمعت هذا من أشخاص مختلفين. من أبي، وجدتي، وأقارب أمي...

حسناً فعلت. في مثل هذه المواقف لا يمكننا أن نصل لأطراف غير متحيزة.

عندما كنت طفلة، كنت أسأل نفسي كيف يمكن أن يكون هذا الشيء المسمى بالحب قوياً جداً حتى يتسبب في ترك امرأة لابنتها البالغة من العمر أربع سنوات.

لماذا لم تأخذك معها؟

أبي قال لها إنها لو أرادت أن ترحل فينبغي أن ترحل بدوني. وفعلت أمي كما قال. لقد تركت ابنتها الصغيرة وهربت مع عشيقها. هربا كلاهما. كطيور الحب...

أين تعيش الآن؟

لا أعلم... ربما تعيش في إزمير.

ألم تريا بعضكما مرة أخرى؟

حاولت أن تراني مرتين بعدها، لكنني لم أرغب. قلت لها أيتها الفراشة الرومانسية إن كنت ترغبين هذا بقوة فأنجبي طفل حب بحيث يمكنك أن ترينه كلما أردت.

هذا قاس بعض الشيء.

حسناً، لا أشعر بأي ندم.

هل فكرت قبل هذا في احتمالية أنها تعاني أيضاً من الألم؟

كانت جدتي تقول نفس الشيء بالضبط. كانت تقول إن حياتنا الزائلة أقصر من أن نحكم على الآخرين... وبالرغم من أنها كانت سيدة سليطة اللسان من البحر الأسود، إلا أنها لم تقل أي شيء سيء عن أمي.

يا لها من سيدة نبيلة...

هي كذلك بالفعل. رحمة الرب عليها.

نعم. فلترقد في بهاء سماوي.

يا له من تعبير جميل. «فلترقد في بهاء سماوي»...

هناك أيضاً تعبير آخر يقول «فلترقد في سلام». أحب هذا التعبير أيضاً.

«فلترقد في النعيم» تعبير لطيف أيضاً... إنه يجعلك تشعرين بالسكينة حتى لو لم تكوني متدينة.

حتى مع اختلاف الديانات تبقى الصلوات واحدة يا آنستي. فلا يوجد فرق بين الدعوات الموجهة لبوذا والدعوات الموجهة لله... اللهفة، والآمال، والمخاوف... كلها متشابهة... ذات مرة قال شاعر من القدس: «تختلف الآلهة، لكن الصلوات تظل واحدة».

بيت لطيف.

لهذا، فقبل أن تُدِيني أحداً، ينبغي أن تستمعي إلى صلواته بحرص. عندها فقط يمكنك معرفة هذا الشخص. الشيء نفسه ينطبق على أمك.

أترين هذا...

نعم... أتمنى لو أعرف صلوات أمك.

أنا متأكدة تماماً من أنها تصلي للرب قائلة «يا رب من فضلك دعني أرقص مع حبيبي على موسيقى الكمان في ضوء القمر بينما تهتز أزهار الربيع مع النسيم».

لا يمكنك أن تعرفي صلواتها أبداً عزيزتي بيلين.

أنا بلا قلب، أليس كذلك؟

لا، أنت مجروحة. لكنك لا تعلمين بعد ما الذي جرحك.

بالطبع أعرف.

آنستي، لا يمكننا أن نعرف بشكل فعلي جوهر العلاقة بين والدينا. إن حدود فهمنا تنبني فقط على قدر الأحداث التي نشهدها. إن مشاجرة بينهما قد تنبع من شيء قد حدث قبل أن نولد بكثير.

مدام روزيلا، كيف يمكن لامرأة أن تترك ابنتها وترحل؟

عزيزتي بيلين، كانت أمك تحب.

ها أنت تقولينها!

لماذا يصعب عليك فهم هذا؟

لا أستطيع فهم هذا. لا يمكن لعقلي أن يستوعبه فحسب! لو كانت مفتونة

بالحب؛ فلِمَ تزوجت أبي وأنجبت طفلة؟ لماذا لم تبحث عن أميرها على حصانه الأبيض بدلاً من هذا؟ لماذا أنجبتني وتركتني وحيدة في هذا العالم الكريه؟

ربما لم ترغب في أن تتركك.

لكنها فعلت!

ربما كانت مضطرة.

مدام روزيلا، آمل ألا تبدئي في الدفاع عنها لأنك وقعت في الحب مرة.

نعم، أعتقد أنني سأدافع عنها.

لكن لماذا؟

لأنني أحببت ذات مرة.

كان موقفك مختلفاً. كان ألدو يحبك دائماً. بالإضافة إلى..

آنستي...

نعم؟

لا أتحدث عن ألدو.

ماذا؟!

لا أتحدث عن ألدو. لقد وقعت في حب رجل آخر.

متى؟

في هذه الأيام التي كنتُ فيها في إسطنبول...

يا إلهي! احكي لي! لماذا لم تقولي لي من قبل؟

بعد إذنك سنتوقف عند هذه النقطة.

10

لا يمكنني أن أنسى هذا أبداً. كان صباحاً دافئاً رطباً. كنت أشعر أن قماشاً مبلولاً غلَّف المدينة. يمكنك أن تتخيلي كيف كانت السماء حامية في منتصف النهار. من بين أخوات ألدو كانت لينت هي المفضلة لدي... ركبنا في عَبَّارة بخارية وتوجهنا إلى إسطنبول. كانت العبَّارة تطن بمزيج من اللغات التي تتحدثها الأقليات في البلاد...

هل كنت مندهشة؟

لِمَ؟

كما تعرفين.. لأنك ستبدأين وظيفة جديدة.

لا أعلم... في هذا الوقت، لم يبد تدريس البيانو وظيفة بالنسبة لي. أعني، أنني كنت معتادة على عزف البيانو. لقد تعلمت من العديد من المعلمين. لقد تعلمت من الأميرات الروسيات البيضاوات اللاتي هربن من الشيوعيين، ومن موسيقيي سانت بطرسبرج الذين انتهى بهم الحال فقراء، ومن فنان بولندي لن أنسى أصابعه الطويلة الرشيقة أبداً. بعدها، حين بدأت في التدريس، أدركت أنني أحمل في عقلي بذرة من كل منهم. لكن لسبب ما، شعرت بعدم الارتياح بشأن الذهاب إلى إسطنبول. حتى هذا الوقت، لم أر غير برنس أيلاندز سوى محطة قطارات حيدر باشا ومقاطعة جلاطة التي تعيش فيها أسرة ألدو.

لم أذهب إلى جلاطة أبداً.

لا أعلم كيف تبدو الآن. لكن في هذه السنوات، كانت جلاطة مقاطعة جميلة وهادئة.

أتمنى لو كان لدي آلة زمن.

كي تعودين للماضي؟

كي أذهب إليه معك. وبالتالي تكونين مرشدتي.

كنت سأحب أن أفعل.

إنك تصفين كل شيء بشكل جميل حتى أنني أشعر بأنني أرى فيلم أبيض وأسود.

أسوأ شيء أن الفيلم الذي في ذاكرتي بالألوان... صور حية للغاية. عندما تتقدمين في السن، يبدو الحاضر مثل صورة بلا ألوان، بينما يضج الماضي بألوان أصلية.

في الحقيقة أنا لا أفهم آلة الزمن تلك.

لِمَ؟

دعينا نقول إنهم بعد مئة ألف عام من العمل الجاد، استطاعوا في النهاية أن يخترعوا واحدة. ألن يحتاج الناس في المستقبل أن يمروا بعصرنا بينما هم يرحلون إلى العصور السابقة؟

لا أعرف. لم أفكر في هذا من قبل.

أقصد أنني أعتقد أن هناك سائحين سيكونون مهتمين بزيارة عصرنا أيضاً.

نعم، من المحتمل.

لكن إذا كانت آلة الزمن سوف تُخترع في المستقبل، ألا يعني هذا أنها موجودة بالفعل الآن؟ حسناً، إن اسمها يجيب عن هذا: آلة الزمن... أتعلمين ما الذي يخيفني؟ أتساءل إن كان الجنس البشري سيستمر ما يكفي من

الوقت حتى يخترعها. أعني، أنه طالما لم يأت أحد من المستقبل إلى الآن، فإما أنهم لم يخترعوها، أو أن الجنس البشري هلك قبل أن يخترع الآلة. يا له من شيء فظيع... أليس كذلك؟

لابد أن أعترف أنني صغيرة جداً على تخيل مثل هذه الأشياء.

أنا آسفة... أعتقد أنني أثقلت عليك.

أثقلت عليّ ؟

أعني أنني ثرثرت كثيراً.

حسناً، هذه علامة جيدة. عندما جئت إلى هنا أول مرة، كنت أجعلك تتكلمين كلمات قليلة بصعوبة شديدة.

بالتأكيد، أنا أشعر بتحسن. على أي حال، استمري من فضلك.

لقد سافرت إلى القليل من المدن الأجنبية عندما كنت طالبة. لكن حين اقترب قاربنا من سارايبورنو، غزاني شعور بالخوف غريب. كنت أشعر أن قصر الباب العالي يضغطني بقبابه. شعرت أن أشياء سيئة ستحدث إن لم أرجع إلى الجزيرة على الفور. ولولا أنني ألحت على لينت لأسابيع كي تجد لي تلميذاً، فأنا أؤكد لك أنني كنت سأرجع في نفس العبّارة.

إنها هواجس.

هل هذه الكلمة مازالت مستخدمة؟

في الحقيقة هي ليست منتشرة، لكن جدتي كانت تحب أن تكررها. لذا فأنا أحب أن أستخدمها خلافاً لتوقع الآخرين، وكي أجعل أصدقائي في المدرسة يضحكون فحسب.

لكنك استخدمتيها بشكل صحيح تماماً الآن.

حقاً؟

أعني إذا ما وضعنا في الاعتبار ما...

هيا، استمري في الحكاية من فضلك.

لكنك أنت من تخرجيننا من الموضوع.

حسناً، حسناً. أعدك بأني لن أفعل هذا ثانية.

في هذا اليوم من يونيو، حينما كان هتلر يتجول في باريس منتصراً، رأيت مدينة إسطنبول المتعبة القلقة والمليئة بالأمل. كانت هذه المدينة تسبح في النور والإيمان. بدا الناس وكأنهم قد تعافوا من الإحباط الذي تلا رحيل أتاتورك. نزلنا من الترام أمام مبنى في أياس باشا وصعدنا إلى الطابق الثالث. جلسنا وانتظرنا على مقاعد مخملية في غرفة المعيشة التي كانت تطل على جميع أرجاء البوسفور... ثم جاء إلينا.

من؟

كان يلبس بذلة سوداء. بدا متوتراً كما لو أن شيئاً أغضبه. حيانا باقتضاب قبل أن يمشي نحو النافذة. جلس هناك وحدق في الأفق، حتى أن المرء ليظن أنه لم يكن ينظر إلى كاديكوي ولكن لشيء آخر مختلف تماماً. فجأة، رأيت عينا لينت تشع بالدهشة. لم أرها مندهشة هكذا من قبل، كانت ترتعش كأنما أصيبت بالملاريا. وضعت يدها على صدرها بينما كانت تشير إلى الرجل الواقف أمام النافذة. عندما حولت رأسي كي أنظر إليه، التقت عيناي بانعكاسه على النافذة. كان ينظر إليّ بشكل لم ينظر إليّ به أحد. كمن ينظر إلى طفل بائس، أو إلى أثر جرح قديم، أو كما تنظرين إلى زهرة

آلمت يدك بأشواكها... شعرت بضيق في صدري، وعاودني شعور الخوف الذي شعرت به على العبَّارة. لحسن الحظ انفتح الباب ودخلت سيدة شابة إلى الغرفة. حيتنا بسرعة ثم شدت ذراع الرجل وحاولت أن تأخذه خارج الغرفة. مع هذا، فقد أفلت الرجل يده بحركة واهنة كان معناها واضحاً حتى بالنسبة لنا، ثم غادر بعدما عبر الحجرة بنفس الخطوات الغاضبة.

«مرحباً»، هكذا قالت السيدة بينما كانت تجبر نفسها على الابتسام. كانت تتحدث الفرنسية بطلاقة. «هل أنت مدام روزيلا؟»

قلت «نعم» «وأنت... آنسة ريجين؟»

«نعم». تلميذتك الجديدة.

تمتمت لينت: «ألم يكن هذا إنفر ريجان؟»

بانزعاج واضح قالت الآنسة ريجين «نعم. إنه هو».

ولأن لينت كانت تعرف أنني لم أدرك من هو ذلك الرجل، فقد أوضحت لي قائلة: «إنه شاعر مشهور.. صاحب مُثُل ومباديء... كاتب..»

لم أكن قد سمعت بهذا الاسم من قبل، لكن عيون الرجل تحولت إلى دائرتين خضراوتين في ذاكرتي. ربما لهذا السبب، أو بسبب الأفعال المتوترة للسيدتين الأخريين الموجودتين في الغرفة، كنت أشعر بتوتر شديد.

تبادلا حواراً خفيفاً لمدة من الزمن، وتساءلا عن عائلة وأقارب كل منهما. ثم أرسلا تحيتهما إلى أشخاص لا أعرف أغلبهم. ثم قالت السيدة ريجين للينت «من فضلك كوني على راحتك هنا. سأعمل أنا ومدام روزيلا في الغرفة الأخرى».

هل لي أن أسألك سؤالاً يا مدام روزيلا؟

بالتأكيد يا آنستي.

هل ما حدث كان على هذا النحو؟

وهل هناك طريقة أخرى يمكن أن يحدث بها؟

لا أعلم... لكن المشهد الذي تتحدثين عنه يبدو رومانسياً بشكل لا يجعله حقيقياً. أعني، حتى لو كنا نتحدث عن إينفر ريجان.

هل تعرفين من هو؟

لقد قرأنا بعضاً من شعره في المدرسة الثانوية.

وهل أحببت شعره؟

أعتقد ذلك... خاصة قصيدة عن العزلة. هذه هي القصيدة التي أتذكرها أكثر.

«العزلة هي السحر الطاغي في حياتنا... هي سلسلة تربط أرواحنا حتى في أوقات الثورة.

حتى لو كانت أيدينا ملأى بزهور الحب.

بسرمدية وحزن لازوردي».

نعم... لابد وأنني أحببت شعره، طالما أنني أتذكر هذه السطور إلى الآن. لكن هذا لا يمحو شكوكي.

هل تظنين أني ألفق الحكاية؟

لا، على الإطلاق. لكنني لست متأكدة من... أنت تعرفين أن هذه الأشياء لا تحدث في الحياة الواقعية.

وما هي الحياة الواقعية في رأيك يا بيلين؟

الحياة الواقعية هي الحياة الواقعية. حياة لا نراها في الأفلام ولا نقرأ عنها في الروايات الرومانسية الحمقاء.

قد يكون هذا هو الحال في بعض الأفلام وبعض الروايات، لكن صدقيني الحياة معجزة في حد ذاتها. هناك خبرات نمر بها تسبب لنا الألم والحزن، لكن هذا لا ينفي كونها معجزات. إذا لم تؤمني بهذا، فلن يمكنك بسهولة أن تجدي الطريق إلى قلبك.

وهل وجدتيه أنت؟

نعم... على الأقل كانت هناك فترة من حياتي أحسست فيها بأنني وجدته.

بعد أن قابلت إينفر ريجان؟

نعم... لكن ليس بعد أن قابلته مباشرة.

إذاً، كيف تقابلتما؟

في الحقيقة لم نتقابل بعدها مباشرة وإنما حدث هذا ببطء من خلال المصادفات. كان هو من بادر بذلك إلا في مرة واحدة. في هذا اليوم حين رأيت عينيه تنظر لي من النافذة، شعرت أنني متجهة إلى الجحيم.

ومتى تقابلتما مرة أخرى بعد هذا اليوم؟

بعد أن انتهى الدرس ذهبت أنا ولينت إلى بيوجلو. كان يوم أحد مزدحم في المدينة. كانت السيدات الجميلات والرجال الوسيمون يتجولون في الشوارع. وكان الجميع يقولون إن فرنسا ستستسلم رسمياً في أيام قليلة لا أكثر. تطلعنا في «باترينات» المحلات واشترينا فستاناً لـ «تانيا» قبل أن نذهب إلى نيسواز. وبينما كنت أبحث عن فكة في حقيبتي كي أدفع بقشيشاً، وجدت ورقة زرقاء مطوية. عندما فتحتها، وجدت كلمات مكتوبة بالحبر الأزرق: «من

أنت؟»

ولا شيء غير هذا؟

لا شيء غير هذا.

بالحبر الأحمر...

نعم، مثل الدم.

هل كان إينفر ريجان هو من وضعها في حقيبتك؟

ومن غيره؟ الرجل الذي قضى عمره يُطوع الكلمات لم يختر لي سوى هذه الكلمات الغريبة.

لكن كيف وضع هذه الورقة في حقيبتك؟

لابد أنه عاد بينما كنت منهمكة في التدريس. لقد تركت حقيبتي في غرفة المعيشة.

لكن لماذا لم تره لينت؟

قالت إنها غفت قليلاً بينما كانت منتظرة. صوت البيانو جعلها تنعس. ولابد أن ريجان قد استغل هذه اللحظات.

ماهر للغاية.

وشاعري جداً.

خاصة إذا ما وضعت في الاعتبار الرسالة التي تركها.

نعم... «من أنت؟»

وحده «جاك نيكلسون» يمكنه أن يُمثل هذه الشخصية.

من فضلك... أنا أفضل «ترافولتا».

وما كانت صلته بالآنسة ريجين؟ هل كانت صديقته؟

نعم، لكنهما كانا على خلاف في هذه الأيام. وقد دارت بينهما مشاجرة فظيعة في اليوم الأول للقائنا. لم يحب أبو الفتاة أفكار ريجان الاشتراكية. كان العجوز المسكين منزعجاً من فكرة زواج ابنته العزيزة، زهرة المجتمع الراقي، بشاعر تتحرى عنه الشرطة. وأرادت الفتاة أن تضع حداً لأنشطة ريجان السياسية وأن يحصل على وظيفة ثابتة.

هل أخبرتِ لينت عن الرسالة التي تركها لك؟

بالطبع لا. ليس فقط لأنها أخت زوجي... لكنني كنت أخاف ألا تتفهم مثل هذه المشاعر.

هل كانت بالفعل معجبة بإينفر ريجان كثيراً؟

كانت معجبة به جداً.. بالإضافة إلى أنه كان مشهوراً - كما اكتشفت بعدها - بين جميع النساء المتعلمات في هذا الوقت. كانت جلسات قراءة الشعر التي كان يحضرها إما أن تُلغى بواسطة الشرطة أو تحضرها أعداد غفيرة. كانت قصائده منتشرة بين الناس. الأكثر إدهاشاً أن سيدات المجتمع الراقي كن منعزلات عن الحياة الواقعية، حتى أن بعضهن كن يعتقدن أن الاشتراكية مخلوق، ومع هذا فقد كن يفتتن حين يتلو إينفر ريجان شعره...

لا أصدق هذا...

اعتاد ريجان على أن يلقي وشاحاً على كتفه، وأن يقرأ قصائده كما لو كان واقفاً على ساق واحدة، وأن يرسم أشكالاً متخيلة في الهواء بيديه. قولي اسم

فنان مشهور هذه الأيام.

شيبنيم فرح.

لا، اسم رجل.

تيومان؟

لا أعرف.

إذاً، أحمد أوزهان.

إنه كبير بعض الشيء.

مدام روزيلا أعرف ما تقصدين. كان إينفر ريحان نجماً حقيقياً.

نعم. وأي نجم! كان ظاهرة حقيقية بطبيعته المثيرة للاعتراض، وخلافاته في عالم الفن، وتتبع الشرطة السرية له على الدوام. بمناسبة الحديث عن الشرطة السرية، أمازال فتاك الحلواني يقف هناك؟

لقد نظرت للتو. نعم إنه هناك. في الزاوية.

يا إلهي! أنا حزينة فعلاً على هذا الشاب.

ماذا! كما لو أنك تقولين إن هذا الرجل اختارك من بين كل النساء، أليس كذلك؟

ومن ثم؟ ألا يبدو الأمر محتملاً بالنسبة لك؟

أنت لئيمة يا مدام روزيلا... لئيمة مثل كل سيدة مدركة لجمالها.

سأعتبر هذا مجاملة.

وأنا قلته كمجاملة.

مر وقت قبل أن تخرج الأمور عن السيطرة. فلم نر بعضنا الآخر على الإطلاق خلال الشهر التالي.

ولم لا؟

كيف لنا أن نفعل هذا يا طفلتي! كان ريجان منشغلاً بالمشاركة في العديد من المنظمات المرتبطة باتحادات العمال والحزب الذي كان عضواً فيه. لقد انفصل عن الآنسة ريجين لهذا السبب. كان طبيعياً أن فرصة لقاءه عندما أكون هناك لتعليمها لم تعد متوفرة.

لكنك كنت تفكرين فيه.

أؤكد لك أن احتمالية حدوث شيء بيننا لم تطرأ على بالي بالمرة في هذه الفترة. لو كان ذلك لرفضت الفكرة، أو شعرت بالإهانة إذا ما علق أحدهم أبسط تعليق بشأنه. بالإضافة إلى أنني أريد أن أذكرك بالموقف العام في هذه الأيام. كانت الحرب العالمية ما تزال مشتعلة. وزوجي الذي ضحى بكل شيء لديه كي نجو كان محبوساً في بلد أجنبية. وأنا كنت منفية تنفق عليّ أسرة زوجي في إسطنبول. وكان لدي ابنة صغيرة بالإضافة لذلك.

لكنك تبعتيه.

تبعت شاعراً ومحارباً من أجل الحرية. حتى هذا اليوم لم أكن قد قرأت أي شعر تركي ما عدا بعض القصائد سيئة الترجمة لـ«يونس إمره»(9). كان لدى لينت بعض قصائد إينفر ريجان التي كانت ذائعة في هذه الأيام. لم تكن قد تزوجت بعد، لذا فقد كان قلبها مفتوحاً لأي تغيير بسيط مثلما يحدث مع الفتيات الصغار. في بعض الأمسيات كنت أزورها في غرفتها. كنا نقرأ أشعار إينفر ريجان بصوت مرتفع. وبالرغم من أننا لم نكن نفهم المغزى السياسي لقصائده على الدوام، إلا أن الموسيقى فيها كانت تشعرنا

بالنشوة. ثم بدأ اهتمامي يمتد لشعراء تركيين آخرين أيضاً. كان شغفي وتصميمي على قراءة قصائد أحمد هاشم ويحيى كمال التي أعطتها لي لينت هو ما مكنني من تحسين تركيتي بشكل فعلي. ولولاها لتحدثت مع الناس بالفرنسية. إلى جانب أنني لم...

...

...

مدام روزيلا، هل أنت بخير؟

على ما أعتقد... لم أستطع أن أتنفس لدقيقة... وشعرت بدوار... هل يمكن أن تفتحي النافذة من فضلك؟ ومن فضلك استدعي زيلدا... بسرعة إذا سمحت...

---

(9) يونس إمره: (1240 - 1321) شاعر صوفي، أثر كثيراً في الأدب التركي حتى الآن. أول من كتب شعراً باللغة التركية الحديثة.

11

تبدين أفضل حالاً بكثير اليوم.

أنا بخير على أي حال. لكن جسدي به مشكلة. إنه يخذلني باستمرار.

هل أفتح النافذة؟ هل ستبردين إذا ما فتحناها؟

نعم، افتحيها من فضلك... في هذا الفصل يكون الجو بارداً ونقياً في مدينتنا... تهب النسائم على المدينة من الجبال التي ترينها في الأفق. هل تعلمين لِمَ تنتشر المصحات في هذا البلد؟

لا. لِمَ؟

بسبب وجود الكثير من الجبال والكثير جداً من العجائز.

لماذا لا تقبلين الذهاب إلى المستشفى؟

يا ابنتي ليس لدى المستشفى ما تقدمه لي... أين هي المستشفى التي استطاعت في يوم أن تعالج كبر السن؟ أفضل أن أقضي ما تبقى من حياتي في منزلي. إلى جانب أننا نستطيع أن نتحدث مع بعضنا الآخر هنا وهو أمر لطيف.

يمكننا أن نتحدث هناك أيضاً...

لا أشعر أنني قوية بما يكفي لأن أتحدث اليوم يا آنستي... وأنا لن أكون مخطئة إذا لم أتحدث، فاليوم دورك على أي حال.

لكنني متلهفة لسماع باقي حكايتك...

ما إن أتحسن قليلاً، سأخبرك بالبقية. إنه دورك الآن طبقاً لاتفاقنا.. لكن لدي طلب.. إذا كان ممكناً، احكي لي حكاية سعيدة اليوم من فضلك.

لا أريد أي حكايات حزينة اليوم.

حكاية سعيدة ...

نعم ... شيء مضحك ... شيء متعلق بروحك الشابة.

مدام روزيلا، لا أعتقد أنني الشخص المناسب لهذا!

لِمَ؟ ألست في ريعان الشباب؟ وطبقاً لمعلوماتي فأنت تتمتعين بحياة بها الكثير من علاقات الحب. ماذا كان اسم الفتى الروسي؟

إيفان ...

ها قد بدأت! لكن يا له من اسم فظيع .... هل يمكنك أن تغيريه من أجلي؟

اسمه؟

نعم. أعني أنك إذا لم تستطيعي تغيير اسمه في الواقع؛ غيّريه على الأقل بينما تحكين لي. يمكنك أن تناديه .... امم ....

ميخائيل؟

ميخائيل؟

مثل «ميخائيل باريشنيكوف» (10) .. الراقص ...

أعرفه يا آنستي. لكن إذا كنا سنناديه ميخائيل، فلم نُغيّر اسم الفتى المسكين؟

لم أفهم هذا مدام روزيلا ....

آنستي، افترضي أنك لست أمام سيدة عجوز في الثامنة والثمانين من عمرها

وإنما أمام فتاة صغيرة في ربيع شبابها، وتريد أن تسمع منك حكاية عن الحب وهوى القلب.

مني أنا؟

نعم، منك أنت

حسناً، هل هناك اسم تفضلينه؟

يمكن استخدام ألكسيا على سبيل المثال.

...؟

صغيرتي، ألم تقرأي «أنا كارنينا»؟

لسوء الحظ لم أقرأها.

إذاً، فأنت لم تعرفي الرجل الأكثر جاذبية وخطورة وقهراً للقلوب في تاريخ الأدب بأكمله. الكونت ألكسيا كيريلوفينشي فرونسكي ... رجل رومانسي أرادت كل النساء أن يعرفنه لكنهن ندمن جميعاً بعد أن عرفنه.

لكن ألا ترين أنك تبالغين في تصوير صديقي؟

لم يعد صديقك بعد الآن يا آنسة... بعد أن بدأت تحكين عنه لي فقد تحول إلى شخصية في حكاية. الآن يمكنك أن تعطينه أي اسم تريدين. كما أنه سيفعل أي شيء تريدينه. من فضلك احكي لي.

لا أعرف من أين أبدأ.

متى كانت آخر مرة رأيتيه فيها؟

منذ خمسة أيام.

كيف بدا؟

كان يرتدي جاكيت جلدياً أسود.

جيد.. ثم؟

كان أيضاً يرتدي كنزة حمراء برقبة. كما تناثر شعر قطة على كنزته.

هل يحب القطط؟

نعم... لديه قطتان في غرفته بسكن الطلبة.

هل يعيش بمفرده؟

لديه صديق من أوكرانيا. سيرجي .. لكن من فضلك لا تطلبي مني أن أغير اسمه أيضاً.

سيرجي ليس بهذا السوء.

لقد وجدا قطتان صغيرتان للغاية. أعتقد أن سيارة صدمت أمهما. إحداهما سوداء وتحب اللعب. بينما تتصرف الأخرى كسيدة من النبيلات.. مثل تشارلوت.

أتسمعين هذا يا تشارلوت؟ إنها تتحدث عنك.

أعتقد أنها ليست بحالة جيدة هي الأخرى اليوم.

تشعر أن الوقت يتضاءل، يا آنستي. تشعر القطط بمثل هذه الأشياء.

مدام روزيلا ... إذا قلت هذا ثانية، فلن أتحدث معك مرة أخرى!

حسناً. لن أفعل هذا أبداً. أعدك.

وهذا هو سبب تناثر شعر القطط على كنزاته باستمرار. كما أن يديه بها دائما خدوش بسبب تربيته لها.

إذاً، فهو يعرف كيف يجذب اهتمام النساء... لا يمكن لامرأة أن تبقى غير مكترثة لرجل لديه قطة. وهل ألكسيا وسيم؟

حسناً، أعتقد هذا.

ماذا تقصدين؟

إنه يشبه «كيرت كوبين» (11) قليلاً.

يشبه من؟

انظري إلى التي شيرت الخاص بي.

هل هذا هو كيرت كوبين؟ هل لدى ألكسيا أيضاً شعر طويل؟

نعم. إنه يعزف جيتار البيس في فرقة الروك بالجامعة. وأحياناً ما يعزف في الحانات في المدينة أثناء عطلات نهاية الأسبوع.

ألم يدعوك إلى فندق؟

دعاني بالفعل.

إلى الفندق المجاور للبحيرة.

نعم.

إذاً فقد كان يخطط لأن يدفع رسوم الغرفة بالمال الذي يكسبه من عزف الجيتار؟ على حد علمي، فإن هذه الأماكن غالية.

مدام روزيلا، إيفان، أقصد ألكسيا لا يعزف من أجل المال... إن عائلته ثرية بعض الشيء...

وفيم يعملون؟

شيء متعلق بالبترول.

اممم. ثم؟

ولأنه بدون تصريح للعمل هنا، فلا يستطيع أن يكسب المال بشكل قانوني من خلال عزف الجيتار. وعندما يسأله أحد، يقول إنه يفعل هذا من أجل المتعة، لكنني أعتقد أنه يأخذ مقابلاً.

وما هذا المقابل؟

شيء ما...

وما معنى شيء ما هذه؟

أقصد.. شيء بغرض المتعة...

اممم. هل هو ما أشك به؟

لكن ليس الكثير منه. ليس بالشيء الذي يضره... أعني أنني لم أره قبل هذا يأخذ جرعة زائدة. إنه يفعل هذا كي يبتهج قليلاً... كما تعلمين، أقراص أو ماريجوانا. أشياء خفيفة من هذا القبيل...

لا تحتاجين لأن تشرحي يا آنستي. لا أنوي أن أتهمه بشيء. أنتما راشدان. ما تفعلونه بأجسادكم لا يهمني. فقط احكي لي الحكاية. ولا تنسي أنني أشعر اليوم برومانسية ساذجة، من فضلك. أعني أنه سيكون لطيفاً منك أن تضيفي بعض الرومانسية...

سأفعل ما بوسعي.

فضلاً.

في هذا المساء ذهبنا إلى النادي حيث يعزف ألكسيا. كان مزدحماً

بالفعل لأنها كانت عطلة نهاية الأسبوع. لقد استمروا فوق المسرح لمدة ساعة ونصف تقريباً وعزفوا بشكل جيد بالفعل. وقد ذهل الناس! عندما أخذوا راحة، كان من الصعب عليّ أن أصل إلى حيث كان. حيث أحاط به الكثيرون.

فتيات؟

ليسوا فتيات فحسب.

يا إلهي...

لسبب ما، لدى ألكسيا معجبين من الجنسين. الحمد لله أنه لا يهتم إلا بالنساء فقط. أردنا أن نخرج ونتنفس هواء نقياً. وكما تعلمين فقد كان يوماً هطلت فيه الثلوج. وكان القمر مكتملاً. حتى أن انعكاس ضوء القمر على الأرضية البيضاء أضاء المكان بأكمله.

الآن بدأت الحكاية تبدو كقصة حقيقية.

مشينا بالقرب من النهر دون أن ننبس بكلمة. بدأ صوت الموسيقى الآتي من ناحية النادي يتلاشى شيئاً فشيئاً... جلسنا على أريكة في الحديقة. لف ألكسيا سيجارة ودخناها بينما كنا نحملق في القمر. كان النهر يسير ببطء وهو يحمل قطعاً من الثلج.

ماذا كنت تلبسين؟

معطفي الجلدي الأسود وحذاء برقبة طويلة. تناثر شعري على كتفي متموجاً. وكنت ألبس أيضاً قبعة رعاة بقر...

جميل.

بعدما انتهينا من التدخين وجدت نفسي أقبله فجأة. وفي هذه اللحظة

شعرت بيده تمسح على شعري.

جميل.

ثم لمست أصابعه وجهي... أحببت ملمس أصابعه التي أصبحت أطرافها خشنة من عزف البيانو وهي تتحسس خدي. كانت رائحتها تبغاً. لا أعرف إن كانت سعادتي بسبب السيجارة التي لفها لي أم بسبب ضوء القمر... لكنني شعرت بسعادة وسكينة لأول مرة منذ أن توفيت جدتي. أعتقد أن الحياة يمكن أن تصبح جميلة في الواقع. كنت أشعر بشعور جيد، حتى أن « ألكسيا» لو جذبني إليه وأخبرني أنه يحبني ما كنت سأثور عليه. لكنه فعل شيئاً ألطف. وضع أصابعه تحت وجهي وجذبني إليه بلطف. ثم شعرت بشفتيه تمس شفتي برفق...

...

مدام روزيلا؟

...

زيلدا، مدام روزيلا بحاجة للقليل من الراحة. هل يمكنك أن تحضري لي مظلتي؟ سأغادر الآن.

---

(10) ميخائيل باريشنيكوف: من أشهر راقصي الباليه الروسي فى القرن العشرين. هرب إلى أمريكا في سنة 1974، وعاش هناك.

(11) كيرت كوبين (1994 - 1968) :Kurt Cobain مغني روك أمريكي. المغني الرئيسي لفريق نيرفانا Nirvana، مات بجرعة زائدة من الهيروين.

12

لقد غفوت في الأسبوع الماضي وفاتني الجزء الأخير من حكايتك.

لا بأس. كنت تعبانة بالفعل.

أتمنى أن لا تكون هذه وقاحة مني.

لا على الإطلاق يا مدام روزيلا. أنت أفضل حالاً الآن، وهذاهو ما يهم.

ما الذي حدث في القصة بعدها؟

لكنه دورك اليوم.

هل هو دوري فعلاً؟

بكل تأكيد.

إن المطر غزير اليوم...

نعم، إن السماء تهطل مطراً.

يا له من تعبير جميل، أليس كذلك؟ السماء تهطل مطراً. يا إلهي لقد نسيت تماماً.

إنها أيضاً ترخ بغزارة...

نعم! أتذكر هذا التعبير! لكنني لا أذكر.. هل عرفته في فترة شبابي أم عرفته من التليفزيون.

هل تشاهدين التليفزيون كثيراً؟

في الماضي، أعني أثناء السنوات الأولى بعد وفاة ألدو، كنت أشاهد

التليفزيون أكثر من المعتاد. أعتقد أن هذا كان نتيجة للملل. لكنني لا أشاهده بهذا القدر الآن... إنه يُسبب ألماً في عيني.

ماذا تشاهدين؟

أي شيء. الأفلام القديمة، ومسلسلات التليفزيون، والبرامج الرياضية... أي شيء يُنشط اللغة التركية لدي.

هل تستمعين للموسيقى؟

لا يمكنني الاستماع للأغاني التركية... موسيقاها عنيفة للغاية... إنها تدمر الآليات الدفاعية لديك.

نعم، أنت محقة في هذا. حتى الأغاني التي لن تسمعيها في المعتاد يمكن أن تدمرك إذا ما أيقظت لديك الذكريات.

كما لو أنها تُقطع قلبك إرباً.

لقد أجدت وصف ذلك.

لكن هذه الأمسية التي حكيت عنها كانت جميلة. النهر، الضباب، البياض. آخر ما أتذكره أنك وأليكسا كنتما تدخنان.

إذا كنت تريدين السماع إلى المزيد من التفاصيل؛ فيجب عليك أن تحكي لي قصتك أولاً.

أنت محقة.

لقد أخبرتيني بهذا من قبل.

أشعر بتحسن كبير اليوم... الطبيب الذي أتى البارحة أخبرني أنني يمكن أن أفعل أي شيء طالما لن أجهد نفسي.

حسناً، أنت بحال جيدة إذاً.

أين توقفنا؟

تحدثت عن تدريسك للآنسة رينجين للمرة الأولى. وأنك لم تري إينفر لمدة طويلة...

نعم. بعد هذا اليوم بشهور قليلة، كنت أستعد في يوم أحد كي أذهب إلى إسطنبول لإعطاء درس، جاءت لينت وهي فرحة للغاية وأخبرتني عن جلسة لقراءة الشعر في مسرح تيبيباسي دراما في هذا الصباح. الأكثر من هذا، كان إينفر ريجان سيقرأ قصائده مع مجموعة من أفضل شعراء هذه الأيام. لم ترغب لينت أن تذهب إلى هناك بمفردها. قالت إنه طالما لا يوجد شخص آخر مهتم بالشعر في العائلة؛ فأنا ملزمة بأن أرافقها. كان بإمكاننا العودة على العشاء إذا ما أخذنا عبَّارة الساعة الخامسة.

بالمناسبة، هل اعتدتِ على العيشة هناك؟

حسناً، كنت أعيش مثل نبتة مغروسة في هدوء وسكينة بويوكادا. كان عزائي الوحيد هو أن طفلتي الفاتنة تانيا قد خلبت قلوب الجميع، وأنها كانت تكبر كطفلة سعيدة بعيداً عن عنف الحضارة. في الوقت نفسه، تلقيت خطابين من ألدو... خطابان حزينان وصلا إلى مقصدهما بعد شهور من كتابتهما. كتب أنه بدأ يعيش مع زوج من اليهود السفارديين العجائز، وقد تعرف عليهما من خلال الجميعة اليهودية في المدينة. لقد منحاه غرفة، وفي المقابل توقعا أن يساعدهما في الأعمال المنزلية. كان ألدو يستمتع بأعمال البساتين والحدائق على وجه الخصوص. كتب قائلاً إن العمل في الحديقة مَكَّنه من التغلب على حزنه على فراق تانيا. وذات مرة كتب أنه يحاول أن يعمل باجتهاد في الجامعة كأستاذ زائر. على حد فهمي وقتها، فقد أرسل

خطابات أخرى إلى الصليب الأحمر، لكن لم يصلني سوى هذان الخطابان. أنهى خطابه وهو يوصينا بأن نتمسك بالإيمان، وأن هذا الكابوس لن يستمر للأبد، وأن البشرية إن عاجلاً أو آجلاً ستدرك هذا الخطأ الشنيع. ثم قال Kedavos en bon'ora...

ماذا يعني هذا...؟

كوني بصحة جيدة... لم يذكر أي مشكلات تواجهه باستثناء ألم الحياة كلاجئ بعيداً عن أسرته. كان رجلاً قوياً، لكنه كان ثابتاً بشكل خاص وكان قوياً في مواجهة المصائب.

وجاكلين؟

لم أعتبرها شخصاً سيئاً أبداً يا آنستي... كانت فقط فتاة حزينة وغير محظوظة. كانت تعتقد أنها ظلمت واستمرت في تسميم عقلها بهذه الأفكار. ومثل أي شخص يحمل الغل في قلبه، فهي لم تفوِّت فرصة أبداً لتكدير حياة الآخرين...

ما الذي كانت تفعله مثلاً؟

واحد من أسوأ الأفعال التي كانت تفعلها وأكثرها إيذاء، هو أنها كانت تقول للجميع إن تانيا لا تشبه أباها على الإطلاق. كانت تجوب حول الآخرين وتسألهم إذا ما كان ألدو هو أبو الطفلة الحقيقي.

يا له من فعل دنيء!

صغيرتي، يمكنك أن تتوقعي أي شر من فرد له قلب منكسر. أي شيء...

عندما تقولين مثل هذه الأشياء، يبدو لى هذا الشيء المسمى بالحب أقل سحراً

وأنت تفاجئينني بهذه العبارات...

لكن يبدو أنها أفرطت في هذا.

كانت جاكلين فتاة حساسة للغاية. وكان جميع أفراد الأسرة يعرفون هذا عنها. كان حبها لألدو حباً أفلاطونياً أكثر منه حب لهذا الشخص على وجه التحديد. لا أعتقد أنهما تبادلا أحاديث كثيرة.

وماذا عن الوالدين؟

تقصدين والدي جاكلين؟

لا، والدا السيد ألدو. كيف تعاملت معهما؟

كان حماي رجلاً ممتعاً للغاية. بدأت أفهم ألدو أكثر بعد أن عرفت أباه. كان يذهب إلى إسطنبول حيث محله الصغير في كفرد بازار ثلاث مرات ويبيع البضائع التي كان يجلبها من باريس. كان يقضي ما يتبقى من يومه في البيت محاولاً اختراع أشياء جديدة. وقد ورث بعض العقارات عن أبيه؛ لذا فلم يكن يشعر بالحاجة إلى أن يعمل من أجل كسب قوته. وهذا جعله يبتدع طرقاً مختلفة لإشغال نفسه؟

وما الذي اخترعه؟

الكثير من الأشياء... ماكينات كهربائية لصناعة الزبادي، وجهاز تحكم عن بعد للراديو، وآلة بسيطة تمنعك من النوم في السينما، وسخان يوضع في الجيب... في الحقيقة، إن النماذج التي صنعها كهواية، اخترع منها الكثير بعدها. وطبيعي أنه كان شارد البال ومنعزلاً. وكان عقله منشغلاً على الدوام. حتى أننا أحياناً كنا نضطر إلى تذكيره باسم تانيا...

وماذا عن حماتك؟

عزيزتي ربيكا.. ربيكا الغالية... لم أر امرأة في حياتي تجيد التعامل مع الناس مثلما كانت ربيكا. ربما لأن زوجها كان متحفظاً فقد كرست حياتها بالكامل للعناية بالآخرين. بالإضافة إلى أنها كانت تساعد أقاربها في تدبر شئونهم. كانت تطهي أربعين نوعاً مختلفاً من الطعام ليوم السبت، وكانت تزين الطاولات بمفارش بيضاء كالثلج وشمعدان فضي. كانت ربيكا أماً للجميع، ولم يكن من الممكن لشيء أن يحدث دون أن تعرفه. لذا فقد كان من الصعب علينا أن نتأكد من أنها لن تعرف بأمر جلسة قراءة الشعر.

لِمَ؟ ألم تحب إينفر ريجان؟

عزيزتي، في هذه الأيام كنا ننتمي إلى مجتمع تراه الأغلبية غير مرغوب فيه. كنا دائماً نُدان دون أن نفعل أي شيء سيء. فوق هذا، تخيلي خطورة الذهاب والاستماع إلى قصائد من اشتراكي!

مدام روزيلا، أين مسرح دراما بالتحديد؟

كانت هناك حديقة كبيرة في تيبيباسي تطل على شبه جزيرة القرن الذهبي... كان المسرح في هذه الحديقة. سمعت لاحقاً أنه احترق عدة مرات، وشعرت بالأسف لذلك. فقد أزالوه في النهاية.

لابد وأنهم بنوا موقف سيارات هناك.

لا أعرف... بعد أن انتهى درس البيانو، كان من المخطط أن ألتقي أنا ولينت في توكاتليان لتناول الغداء ثم نذهب إلى تيبيباسي معاً. في هذا اليوم أثناء الدرس، لاحظت أن الآنسة رينجين تبدو حزينة. بشكل عام، كانت فتاة جذابة للغاية... كان لها شعر شديد السواد مقصوص عند نهاية أذنها، وكان لها أنف صغير، وعينان سوداوان كبيرتان، وعنق رشيق. كانت تبدو مثل هاته السيدات الفرنسيات الأنيقات... لكن كما قلت، فقد بدت

مختلفة في هذا اليوم. لم تكن قادرة على التركيز في الدرس، وعزفت الألحان بطريقة لا مبالية بالمرة. ثم فجأة توقفت عن العزف وشرعت في البكاء... عندما سألتها لماذا تبكي، وقفت دون أن تنطق بكلمة وتناولت ورقة مطوية من درج المكتب الخاص بها.

خطاب..

كتبه لها إينفر ريجان، يقول فيه إن كل ما بينهما انتهى، ومن الأفضل لها ألا تفكر فيه ثانية هذه المرة.. أما عن السبب، فقد قال إنه وقع في حب امرأة أخرى، وأن هذا الحب لا يسمح له بأن يكن أي مشاعر لأي شخص آخر. كامرأة شعرت بالتعاطف مع الآنسة رينجين... في هذه الأيام، لم يكن يخطر على بالي أن فناناً مثل ريجان يُنير الروح البشرية بأشعاره قد يكون بهذه الأنانية.

لا يمكنك أن تعرفي ما قد يفعله هؤلاء الفنانين.

كان هذا صحيحاً فيما يبدو.. بعدما حاولت بجد أن أواسي الفتاة المسكينة، رحلت كي أقابل لينت، لكن مزاجي كان سيئاً ومكدراً بحزن رينجين... كان يوماً دافئاً للغاية من أيام الصيف. وصلنا إلى المسرح بعد مشي سريع جعلنا نتصبب عرقاً. كان الازدحام شديداً بالداخل. وكان هناك أشخاص من كل الطبقات. في أحد جوانب المسرح، يمكنك أن تري الفقراء بجواكت مرقعة وأحذية غير لامعة، وفي الجانب الآخر السيدات والرجال المتعلمين والمثقفين بنظاراتهم. زيادة على ذلك، فقد انسدلت الروائح على القاعة كلها من البلكونة. كان هذا مضحكاً! فالبنات المنحدرات من أسر ثرية والمهتمات بالشعر... لم يجلسن في الأسفل، لأنهن كن يخفن من الاختلاط بالناس العاديين.

هل ذهبن إلى هناك كي يسمعوا إينفر ريجان أيضاً؟

نعم. أغلبهن... أقصد، أنني اكتشفت لاحقاً أن ريجان كان مُنتقداً بشدة من جانب أعضاء حزبه بسبب مُعجباته. فالغيورون منه زعموا أنه مخادع يتظاهر بخدمة الثورة بينما هو في حقيقة الأمر يتلاعب بقلوب بنات الطبقة الوسطى الساذجات. وفيما بعد سينجح هؤلاء في هدفهم لحد معين.

أفهم من هذا أنه كان مشهوراً للغاية.

نجم حقيقي... كان هو آخر من ألقى الشعر... وقد انتظره الجمهور جميعه بفارغ الصبر حتى يظهر على المسرح. وكنت أنا ولينت قد جلسنا بالفعل في البلكون.

مع بنات الطبقة الراقية...

بالتأكيد... كانت مقاعدنا جيدة بالفعل. عندما ظهر إينفر ريجان على المسرح خرجت تنهيدة واحدة من البلكون بأكمله. في البداية ألقى كلمة قال فيها إن هتلر مقدر له الخسارة، فصفق له الجميع بحرارة.

إذاً، فقد كسر المسرح..

كسره؟ لماذا يكسره يا صغيرتي؟

أقصد، لقد صعق الجميع.

صعقهم؟ كيف؟

ما أعنيه أنهم شجعوه.

ينبغي عليّ أن أدون هذه الكلمات. لقد بدأ هذا يمتعني بالفعل.

إذا أردت، يمكنني أن أكتبها لك مدام روزيلا.. فقط أكملي الحكاية.

بعد ذلك، تلا بعضاً من أشهر قصائده. كان صوته مثل لحن يمس أعمق أعماق الفرد. وبينما كان يقرأ آخر قصيدة له، حدث شيء غريب بالفعل... ذاكرتي ليست جيدة هذه الأيام، لذا لن أتذكر القصيدة بالضبط، لكنه حين قرأ السطر المتعلق بالسماء، رفع رأسه ونظر لأعلى، وتلاقت عيوننا.

بين الناس!

نعم... نظر كل منا إلى الآخر لفترة... ثوان قليلة... ثم توقف عن تلاوة القصيدة وحملق فيّ هكذا. كان ينظر إلى أعماقي من خلال عينيّ. ثم ركّز انتباهه على القصيدة مرة أخرى. بعدما وضع وشاحه جانباً بحركة وحيدة من يده، استمر في القراءة كما لو أن الوقفة التي وقفها كانت جزءاً من العرض...

هل أدركت لينت ما حدث؟

لا أعتقد ذلك... ربما هي لم تفكر في أن شيئاً مثل هذا قد يحدث.

وماذا فعلتِ بعد أن انتهى العرض؟

كانت خطتنا أن نذهب للتسوق في بيوجلو. أرادت لينت أن تشتري قفازاً جلدياً لنفسها. ذهبنا إلى محلين اعتقدنا أنهما يُفتحان يوم الأحد. كان المحل الأخير الذي زرناه مزدحماً لدرجة أنني فضلت انتظار لينت في الخارج. أعرفها جيداً. كانت ستقضي على الأقل خمس عشرة دقيقة وهي تجرب القفازات... عبرت إلى الرصيف الآخر وبدأت أنظر إلى الاسطوانات المعروضة في «باترينة» أحد المحلات. في أحد الأركان لاحظت أسطوانة لـ «تانيا أشكيناز» كنت شغوفة بها. بدا لي السعر الذي قاله البائع اليوناني مرتفعاً للغاية. بينما كنت أستعد لمفاوضته عليه، نادى شخص عليّ باسمي.

و؟

تحولت إلى الخلف ونظرت، فإذا هو إينفر ريجان يقف على الباب. «روزيلا جالانت؟» كررها كمن يريد أن يتأكد.

قلت «نعم» أنا هي...»

قال مبتسماً: «أنا إينفر» «لقد تقابلنا في بيت الآنسة رينجين، أتذكرين؟»

رددت قائلة «بالطبع». «كما أننا استمعنا إليك في المسرح».

قال مبتسماً: «أنا أعرف». «هل استمتعت بالجلسة؟»

«أفضل قراءة الشعر بنفسي». «لكنها كانت شيئاً لطيفاً مع هذا. وقد أحبتها جميع الفتيات».

«وماذا عنك؟»

«أنا؟»

«ألم تحبينها؟»

«هل هذا مهم؟» قلتها بينما تظاهرت بالانشغال بالأسطوانة التي في يدي عنه.

«لن تصدقي أهمية هذا بالنسبة لي».

حسناً. إذا كان الأمر هكذا، فنعم أحببتها...»

«إن هذا يسعدني».

«أنا مسرورة».

«ربما سنتقابل ثانية» قالها، لكن صوته لم يعكس أي ثقة بالنفس.

قلت، «ربما...» بصوت هادىء للغاية.

قام بمحاولة أخيرة. «إذاً، دعيني أشتري هذه الأسطوانة لك كهدية».

قلت «حسناً».. «لكن هذا ليس ضرورياً».

مدام روزيلا! أنت لئيمة للغاية!

حسناً... حين خرجت من المحل بعدها بخمس دقائق ومعي الأسطوانة، رأيت لينت التي كانت تنظر حولها باحثة عني. سألتني عما حدث. لأن خدي كانا متوردين.

وهل استطعت اللحاق بالعبَّارة؟

نعم... عندما وضعت رجلي على العبَّارة أحسست بأنني هربت من خطر أو نجوت من مصيبة. وما أن تركنا إسطنبول خلفنا، لم أعد أريد أن أفكر في أي أحد سوى ابنتي.

13

مدام روزيلا، حقاً لا أريد أن أتحدث عن أي شيء اليوم.

لِمَ؟ هل هناك ما يزعجك؟

حسناً... هل يمكن أن أعطيك دوري؟

هل الأمر متعلق بوالدك؟

جزئياً.

هل اختلفتما؟

لا. كيف يمكن لنا أن نختلف إذا كنا لا نتحدث مع بعضنا البعض؟

ماذا حدث إذاً؟

ساركيس.

ساركيس الحلواني؟

نعم.

ماذا عنه؟ هل أخبرت والدك بزياراتك لي هنا؟ اهدئي يا آنستي. أنت لا تخطئين بمجيئك هنا. يمكنك فقط أن تخبريه أنك تساعدين سيدة عجوز بشكل تطوعي. لا أعتقد أنه سيمانع في هذا.

...

عزيزتي بيلين، إذا رغبت يمكنني أن أتحدث مع والدك...

المشكلة ليست في أبي مدام روزيلا... المشكلة في ساركيس نفسه...

هل فعل أي شيء غير مناسب؟

لقد اعترض طريقي بالأمس.

كيف حدث هذا؟

خرجت من سكن الطلبة متوجهة إلى الجامعة، فوقف أمامي. ومعه باقة من الزهور. زهور برية...

امم...

أعطاني الزهور وأخبرني أنه يحبني...

ألم أقل لك!

كان هذا أمام سكن الطلبة مباشرة... لا يمكنك أن تتخيلي كم شعرت بالحرج.

وماذا قلت له؟

أخبرته بأن يتوقف عن هذا الهراء. وطلبت منه أن يستمر في عمله كمراقب سري دون أن يزعجني.

وكيف كانت نبرة صوتك؟

قاسية.

قاسية جداً؟

أعتقد أنني صرخت فيه قليلاً.

والزهور؟

أخذتهم وألقيتهم على الأرض.

لابد وأنه تأذى. يا للفتى المسكين.

مدام روزيلا، أحياناً لا يمكنني أن أصدقك.

لِمَ؟

لِمَ تشعرين بالشفقة على أحمق كهذا؟

وأنا لا أفهم لماذا أنت غاضبة جداً هكذا... أقصد، ألست محاطة بالكثير من الرجال الذين يُعبِّرون عن حبهم لك؟ ما الذي يهم إن زادوا واحداً أو نقصوا؟

لا، ليست الأمور هكذا.

كيف هي إذاً؟ أليس لديه الحق مثل ألكسيا... أو ماذا كان اسم الرجل اليوناني؟

ديمتري.

نعم، أليس لديه الحق مثل ديمتري في أن يُجرِّب حظه؟

هل له الحق في ذلك؟

لِمَ لا؟ هل لأنه ليس ثرياً كالآخرين؟

أوه، كفى يا مدام روزيلا! تتحدثين كأنك لا تعرفينني على الإطلاق.

آنستي، أنا متأكدة من أننا لا نعرف الكثير عن بعضنا البعض. ليس لدينا أعواماً من الصداقة.

أنت تعرفين المشكلة على وجه التحديد. ساركيس موظف من جانب أبي. مراقب يتلقى راتباً عن عمله...

حسناً، هذا حقيقي. ومن الصعب عليه إذاً أن يستمر في هذا العمل.

لن يستطيع الاستمرار على أي حال.

لا. كيف هذا؟

لقد أخبرني بأنه ترك هذا العمل.

لا أصدق هذا...

انظري من النافذة..

نعم، دعيني أفعل هذا... أوه، إنه ليس هناك. أوه يا إلهي! كان ينتظر دائماً في هذا الركن.

لا تقلقي. أنا متأكدة من أن مراقباً جديداً سيُعيّن مكانه على الفور.

عندها يمكنك أن تجعليه يقع في حبك ثم تتخلصين منه أيضاً!

أنت ظريفة يا مدام روزيلا.

وأنت غير معقولة! هل هذا ما يزعجك فقط؟

أبي يتصل بي بشكل جنوني... ينبغي علي أن أجعل هاتفي المحمول صامتاً طول الوقت. أعلم أنني سأنظر فيه حين أخرج من هنا، وسأجد خمسمائة مكالمة لم يرد عليها!

ربما هو قلق عليك.

يبدو أن ساركيس ترك عمله مؤخراً. انتظري مدام روزيلا. لدي فكرة!

ما هي؟

لو أنني طلبت من ساركيس أن يرسل لأبي تقارير زائفة... أنا متأكدة من أنه لن يرفض طلبي. ليس هذه المرة... إلى جانب أنه لن يتعب أيضاً. على سبيل المثال يمكنه أن يلفق الأحداث. «اليوم شاهدت الآنسة بيلين السمك في متحف الأحياء المائية... أحداث غير هامة...»

لست جادة في هذا، أليس كذلك؟

ولِمَ لا؟ أعتقد أنها فكرة جيدة.

آنستي، ألا تستغلين بهذا مشاعر هذا الشاب لك بطريقة غير صحيحة؟

نعم، يبدو الأمر هكذا قليلاً، أليس كذلك؟

قليلاً؟

وماذا في ذلك! إن كان يحبني فعليه أن يدفع الثمن.

آنستي، ربما لا تحترمين الحب، لكنه شعور لا يستحق الازدراء. أعرف نساء تحملن تعذيب النازيين لهن؛ لأنهن لم يردن أن يخبرن عن رجال كن يحببنهم. رأيت رجالاً ضحوا بأنفسهم وانتهى بهم الحال في أوسكويتس أو تريلينكا كي تستطيع حبيباتهم أن يعبرن الحدود ويهربن. تحدثت إلى نساء جرين إلى الخنادق أثناء حصار لينينجراد كي يكن إلى جانب من يحببن. لقد شهدت عيناي العجوزتان أغلب أوجه الحب النبيلة التي تسخرين منها. وبالتالي فمن الصعب جداً عليّ أن أفهم كلماتك. من فضلك التمسي لي الأعذار بهذا الشأن.

...

...

...

...

مدام روزيلا، أنا إنسانة فظيعة.

لا.

بل أنا كذلك... أنا لا أحترم أي شيء في الحياة...

لا تقولي هذا يا آنستي، أنت تبالغين... أنت موجوعة فقط. مثل أي شخص آخر، مثلنا جميعاً... أقصد أنك مجروحة مثل زيلدا أو مثلي.

أوه، من فضلك مدام روزيلا! مقارنة بما مررت به...

إن حياة كل فرد فريدة من نوعها يا آنستي. سواء كان سبب الوجع فيها أدولف هتلر أو أم... فنحن نتألم من جروحنا إلى الأبد.

أتمنى ألا يكون الحال هكذا يا مدام روزيلا...

وهل ساركيس هذا وسيم؟

أوه، هيا! من فضلك...

ماذا الآن؟ هل نجلس وننتحب على حياتنا؟ هل تعرفين أن لعب دور الضحية لا يناسبك حقاً؟ أنت تعيشين سنين عمرك الذهبية يا آنستي. لديك أغلى شيء في الكون.. شبابك. لو أن لدي خصلة جيدة، فهي أنني لم أقبل أبداً القيام بدور الضحية.

لا أعرف يا مدام روزيلا. ربما أنت محقة...

أنا جادة في سؤالي، ما شكل ساركيس؟

لقد رأيتيه من النافذة مرات كثيرة، أليس كذلك؟

آنستي، هل تتوقعين من امرأة عمرها ثمان وثمانين عاماً أن تنظر من النافذة على بعد خمسين ياردة وترى كل شيء بالتفصيل؟ أود أن أعرف كيف تبدو ملامح وجهه.

شكله ليس أخاذاً.

ماذا تقصدين؟

أعني أن شكله عادي. له شعر أسود قصير، وعينان سوداوان، وأنف قصير...

ما اللغة التي كان يتحدث بها حين تكلم معك؟

التركية... أعني أنه بدأ حديثه بالفرنسية، ثم تحول للتركية.

إذاً لابد وأنه أرميني من إسطنبول... لقد قابلت الكثير من الأرمنيين في بويوكادا. لدي طلب بسيط... من فضلك لا تكسري قلب هذا الشاب إلا إذا ضايقك كثيراً. من الواضح أنه أيضاً بعيد جداً عن موطنه.

ما الذي يمكنني فعله على أي حال يا مدام روزيلا؟ لن أذهب وأهاجم المحل الذي يعمل فيه، أليس كذلك؟

لا أعرف حقاً... يمكنك فعل أي شيء.

14

هذه بطولة فرنتش أوبن (فرنسا المفتوحة للتنس) لعام 1999، أليس كذلك؟

نعم آنستي! برافو!

وما القناة التي تعرضها؟

لا أعرف اسمها. شعارها به حرف Z في دائرة.

هذا شيق. لم أسمع بها من قبل.

وجدتها في الصيف بينما كنت أتنقل بين القنوات. إنها تعرض كل يوم مباراة تنس نهائية من البطولات التي مضت. هل تتذكرين هذه المباراة؟

بالتأكيد. ستفوز ستيفي جراف في النهاية، وستحضن مارتينا هينجيز أمها وتبكي.

حقاً؟ لقد نسيت.

نعم. حتى أنها ستذهب إلى مراسم تسلم الجوائز وهي تبكي هكذا...

كيف؟

هكذا... مثل طفلة صغيرة...

يا إلهي! لديك القدرة على التقليد!

حسناً، أنا لا أريد أن أتباهى، لكن نعم، لدي هذه القدرة يا مدام روزيلا.

معذرة؟

أقصد أنك محقة. قليلاً.

ما الذي تستطيعين تقليده أيضاً؟

أبي على سبيل المثال.

حقاً؟ هل تستطيعين؟ قلديه لي من فضلك...

أنصتي إليّ أيها الشابة الصغيرة، إن الأولوية الأولى لدي هي مستقبلك. حتى لو كان هذا ضد رغبتك!

أداء رائع!

هل أعجبتك؟

هل هذه هي الطريقة التي يتحدث إليك بها أبوك؟

خاصة حين تكون صديقته موجودة. عندما أكون أنا وهو فقط فإن صوته يكون مثل صوت أي إنسان طبيعي.

بالمناسبة، جراف أفضل بكثير.

إذا أردت، يمكنني أن أحضر معي حاسبي المحمول في المرة القادمة. في يوتيوب، يمكننا أن نجد أي مباراة تريدين مشاهدتها.

وما هو يوتيوب؟

موقع إنترنت. وتوجد به كل الأشياء التي يمكن مشاهدتها.

هل أنت متأكدة من أنه لا يحتوي على أشياء خارجة أيضاً؟

لا يوجد به أي من هذه الأشياء... أقصد، أنني على الأقل لم أصادف أياً منها.

لسوء الحظ لا أعرف أي شيء عن الإنترنت.

هذه ليست مشكلة. يمكنني أن أعلمك.

وعد؟

بالتأكيد. هل كنت تستطيعين لعب التنس حين كنت في إسطنبول؟

لا أتذكر..

ماذا تقصدين؟

مثلما قلت... لدي هذه الفجوات الكبيرة في ذاكرتي عن أشياء محددة والتنس واحدة منها.

لكن يبدو أنك تتذكرين كل شيء آخر بشكل جيد.

ليس كل شيء يا صغيرتي. حتى لو أجبرت نفسي على التذكر، فهناك الكثير من الأشياء التي لا أستطيع تذكرها...

مثل ماذا؟

على سبيل المثال... أتمنى لو أذكر مذاق أطباق مثل كعك البطاطس، والهوراسي، والشاروب التي كانت تعدها ربيكا للعشاء في كل سبت. أتذكر أيضاً محادثات النميمة التي كانت تتم على مائدة العشاء، والتي بدأت في البداية بالفرنسية مراعاة لي ثم استمرت بعدها باللادينو... أيضاً أتذكر كيف كبرت «تانيا» في هذه السنوات الخمس. كانت تتعلم شيئاً وتتغير ببطء مع كل يوم.

أين هي الآن؟

تانيا؟

أقصد هل هي على قيد الحياة؟

أوه، الشكر للرب، هي كذلك. لا تشغلي بالك. على حد علمي فهي في خير صحة، كما أنها سعيدة. لقد تزوجت من رجل أمريكي وانتقلت إلى نيويورك. لديها ولدان راشدان. أحدهما طبيب.

يبدو أنك لا ترينهم كثيراً.

كانت المرة الأخيرة التي جاءوا فيها هي جنازة ألدو. وهذه هي المرة الأخيرة التي رأيت فيها أحفادي.

أتمنى ألا تكون هناك خلافات بينكما أو أي شيء من هذا القبيل.

بعدما انتقلت إلى أمريكا، زادت الفجوة الوجدانية بيننا شيئاً فشيئاً لسوء الحظ. زوجها رجل لطيف. من عائلة من ألمانيا لجأت إلى الولايات المتحدة... في البداية، أصر كثيراً على أن أعيش معهم. لكنني لم أقبل العرض لأنني كنت أعرف أن تانيا لا تريد هذا.

هل هي لا تريدك هناك بالفعل؟

حسناً، ما زالت لا تريد هذا.

لكن لماذا؟

الصبر يا آنستي... إذا أجبتك الآن، لن تكون الحكاية مثيرة، أليس كذلك؟

صحيح. أنا شغوفة جداً لسماع بقيتها.

كنا في نهاية أغسطس... حيث يمكن للمرء أن يشعر بقدوم الخريف.

أنا بالفعل «أموت » في مقدماتك...

تموتين؟

اسمَري يا مدام روزيلا. كلي آذان صاغية.

بدأت الأسرة تستعد للعودة إلى إسطنبول. وكان عليّ أن أذهب إلى إسطنبول مرتين في الأسبوع، لأنني بدأت أعلِّم أخت صديقة ريجين في صقلية. بفضل توصيتها طبعاً.

وهل كانت الآنسة ريجين لا تزال تعاني من حزنها العميق؟

كانت تفعل ما بوسعها كي تبدو وكأنها تخطت حزنها، لكنني كنت ألمح الأسى في عينيها بين الحين والآخر. كانت تحب إينفر بشكل كبير.

وربما كانت تشعر بالفضول إلى معرفة الفتاة التي ذكرها إينفر في خطابه أيضاً.

ربما كانت معتادة على نزوات إينفر العابرة، لكنها هذه المرة شعرت بأنه جاد وبالتالي فبالفعل كان يأكلها الفضول لمعرفة هذه الفتاة.

وأنت كنت الفتاة الأخرى يا مدام روزيلا، أليس كذلك؟

للأسف، نعم... عرفت هذا حين رأيت إينفر على العبَّارة في يوم أحد.

هل كان ذاهباً إلى الجزيرة هو الآخر؟

لا، على الإطلاق. ربما كان يتبعني.

ياااه!

كنت جالسة في الخارج على مقعد على جانب العبَّارة أشاهد الرغاوي. كنت أفكر في حياتي التي تشبه الرغاوي. يظهر ويختفي ثم يظهر مرة أخرى... وفجأة لاحظته. لوح لي بيده ببراءة وكأنه كان هناك بالصدفة البحتة. ورددت عليه بإيماءة سريعة، فجاء وجلس بجانبي.

قلت: «يا لها من صدفة لطيفة».

«إنها ليست صدفة.. فأنا أتبعك منذ أن غادرت منزل رينجين».

سألته لِمَ فعل هذا وقلت: «كيف أساعدك؟»

رد قائلاً: «ساعديني بالاستماع إليّ، فأنا أخشى أن أكون قد أحببتك»

مدام روزيلا، لو كنت مكانك لقفزت في البحر في هذه اللحظة!

ربما كان هذا هو الفعل الصحيح. مع هذا فقد أعجبني كلامه قليلاً أيضاً. تخيلي أن شاعراً تعشقه الكثير من النساء ويعجبن به يُعبّر لك عن حبه. ويقول لك إنك أجمل امرأة عرفها، وأنه يراك في أحلامه باستمرار.

وهل صدقت؟

بالطبع صدقت. ماذا كان اسم الرجل الذي كانت صورته على التي شيرت الذي كنت تلبسينه في الأسبوع الماضي؟

كيرت كوبين؟

نعم... لو أنه جاء وأخبرك أنه يحبك، ماذا كنت ستفعلين؟

لكنه ميت.

ماذا لو كان حياً؟

أعتقد أنني سأفرح كثيراً.

حسناً، لحسن الحظ لم أفعل هذا.

ما الذي فعلتيه إذاً؟

نظرت إلى برج ميدن الذي كنا نمر بجانبه في هذه اللحظة وقلت بكبرياء:

«سيد إينفر، أنا سيدة متزوجة».

جيد.. وماذا كانت إجابته؟

تصرف كما لو أنه لم يسمع ما قلته... قال إن الحب الحقيقي يعطي الإنسان القدرة على التحمل. وطبقاً لما أخبرني به فقد كانت الشرطة السرية تضايقه باستمرار في هذه الأيام. كانوا يزورون المطبعة التي يعمل فيها كل يوم تقريباً. لكنه قال إنه لا شيء مهم أمام قوة الحب الذي ينمو بداخله.

فهمت...

«آنسة ريجين حزينة للغاية» قلتها محاولة تغيير الموضوع. لكنني من ناحية أخرى كنت أفكر في كيفية إكمال الرحلة التي تمتد لساعة ونص دون أن نختلف. قال محدقاً في الأفق بعينيه الخضراوين الآسرتين: «ريجين فتاة طيبة». ثم أضاف: «لكن عقلها تشكل بطريقة خاطئة. وهذا هو السبب الذي يجعلها لا تعرف ماذا تريد من الحياة. إنها تريد أن تكون كل شيء وأن يكون لها كل شيء. وعندما لا يحدث هذا تشعر بالأذى». قلت: «لكنها تحبك». وضغطت على كلماتي للتأكيد. قال: «هذا محتمل». «وأنا أحبك بكل ذرة في تكويني». قلت: «مستحيل. أنت حتى لا تعرفني». فرفع صوته وقال: «إن الشعور الذي بداخلي تقويه الاستحالة».

مدام روزيلا، أريد أن أصرخ!

ربما تجدين الأمر غريباً يا آنستي، لكن في هذه الأيام كان الشعراء يقولون مثل هذه الأشياء للنساء اللاتي يحبون... بالإضافة إلى أن أياً منا لم ير هذا مضحكاً.

حسناً، يبدو أنك تدافعين عن إينفر ريجان...

أنا أدافع عن ذكرياتي يا آنستي... أنا أحترم ذكرياتي وأتوقع من الآخرين أن يحترموها أيضاً... لأنني دفعت ثمن وجودها في حياتي... ثمن أغلى من اللازم.

هل أنت غاضبة مني؟

لا.. لست غاضبة.

لكنك متأذية.

لا. لماذا أتأذى؟

هل ترغبين في أن أغادر الآن؟

كما تريدين.

لكن إذا أردت يمكنني أيضاً أن أمكث.

كما قلت، افعلي ما تريدين.

ربما هناك مباريات أخرى في التليفزيون اليوم.

لا أعرف. لكن الريموت كنترول موجود هناك.

هل تريدين المشاهدة أيضاً؟

نعم، ربما... طالما أننا سنقضي وقتاً معاً، فدعيني أطلب من زيلدا أن تحضر لنا مشروب النعناع.

ربما نستطيع أن نلعب التنس معاً في يوم من الأيام.

أوه يا صغيرتي لو طلبت مني هذا الطلب منذ عشر سنوات مضت لقلت نعم. لكن الآن فمجرد مغادرة مقعدي للذهاب إلى الحديقة يُعتبر معجزة.

صحيح لِمَ لا نذهب إلى الحديقة؟

لأنها تمطر كل يوم يا آنستي.

لكنها لا تمطر اليوم... هل تريدين أن تفعلي هذا؟

شكراً جزيلاً، لكنني لا أستطيع. ربما في وقت آخر... أما بالنسبة لعرض لعب التنس، فقد كان حلمي الأكبر هو لعب التنس في نهائي أحد البطولات. وليس ويمبلدون على وجه التحديد. كنت سأرضى باللعب في دوري صغير للاعبين هواة. دائماً ما تخيلت الكأس واقفاً بجوار الشبكة وأنني بإمكاني أن أراه بينما أهزم خصمي. لذا، فقد كان هذا هو الطموح الوحيد لروزيلا التي كانت دائماً تخرج الرغبات الكبيرة خارج حياتها... نهائي... نهائي تنس...

وماذا عن إينفر ريجان؟ ماذا كان شعورك تجاهه؟

حب...

حب؟

لست متأكدة... مثل كل الشعراء كان إينفر ريجان شغوفاً بالحب. لكنني تعلمت أن أتحكم في مشاعري طبعاً كما يفعل الألمان. في الحقيقة، بالرغم من أنني لم أفعل هذا، فلم يكن من الممكن لي أن أتحرى مشاعري الحقيقية بحرية في هذه الأيام.

لكنني أعتقد أنك أُعجبتي به ببطء.

في البداية أحببت الطريقة التي أحبني بها، وشعرت بالإطراء... لم أشك في ولائي لزوجي ولو للحظة، لكنني في النهاية كنت امرأة شابة وكان يسرني أن يعشقني رجل. بعد أن وصلنا جميعاً إلى بيت العائلة في جلاطة، وصلني

منه خطاب. وقفت أقرأ الخطاب عند نافذتي مثلما يحدث في جميع روايات القرن التاسع عشر. في خطابه كتب إينفر أنه سيذهب إلى هايبيليادي بعد يومين كي يزور صديقاً مريضاً في المصحة بالجزيرة. قال إنه سيكون سعيداً لو اصطحبته. وطبقاً لما أخبرني به فإن حالة صديقه الصحية كانت خطيرة، ولقاؤه بملاك مثلي يمكن أن يملأه بالإرادة كي يعيش...

إنه كلام جريء للغاية.

لم أغمض عيني في هذه الليلة... قرأت خطابه المكون من سبع أو ثماني أسطر مرة بعد مرة. حاولت أن أقرر إذا ما كان عليّ أن أقبل دعوته أم لا... أقصد، أنه على أي حال فإن سفر امرأة متزوجة مع رجل أعزب والحديث معه لا يُعتبر أمراً مناسباً. في النهاية قررت أنني لن أذهب على الإطلاق ونمت وأنا مرتاحة الضمير. لكن في الصباح وجدت نفسي أمام حماتي أخبرها بأنني مضطرة للذهاب إلى مودا لإعطاء درس بيانو في اليوم التالي.

إذاً، كيف تقابلتما؟

لقد أوضح في الخطاب العبَّارة التي سيركبها... تعاملنا مع بعضنا البعض في هذه الرحلة كغريبين جلسا بجانب بعضهما البعض بالصدفة. كنت أقرأ في رواية فرنسية أحضرتها معي، بينما دوَّن هو على عجل أشياء في مذكرته الصغيرة التي أخرجها من جيبه. شعرت بجانبه بالهدوء والسكينة للمرة الأولى منذ أن وصلت إلى إسطنبول. شعرت بأنني جزء من المدينة. تحدثنا لمرة واحدة خلال الرحلة. عندما رأى شكل الجزيرة والتي تشبه بالفعل الحقائب التي تعلق على السرج، رفع رأسه على الفور من مذكرته وحدق في عيني وقال: «كل الأشياء غير مؤكدة». هذا الكون هو مجموعة من الأشياء غير

اليقينية لرب غير معروف... يبدو أن علينا أن ننتظر قراره كي ننتهي من الوجود...»

هل هذه كانت قصيدة عكف على كتابتها في هذه اللحظة؟

ربما... في الحقيقة لم أكن قادرة على فهم ما إذا كانت هذه الكلمات موجهة إليّ أم إلى شخص كان يتخيله... لكنني كنت امرأة شابة لديها من الأخلاق الحميدة ما يمنعها من أن تسأل شاعراً عن قصده... ابتسمت بأدب فحسب. ثم أراد أن يخبرني عن صديقه الذي كنا بصدد زيارته. قال: «صديقي العزيز روستو شاعر موهوب للغاية. وهو ابن مدرس قروي في زونجولداك. قبل سنوات، كان عليه أن يغادر المدرسة الثانوية بسبب إصابته بالسل. تركها وأصبح موظفاً في إدارة الضرائب على الدخل التابعة لوزارة المالية. عندما ساءت حالته في الأشهر القليلة السابقة، جاء إلى مصحة هايبيليادا، لأنني وأصدقائي أجبرناه على ذلك. إنه شاب عاش حياة قوامها الفقر والمتاعب. لكنك سترين أنه على الرغم من أنه يحارب ضد مخالب الموت إلا أنه لم يفقد الأمل».

نعم، لكنني لا أفهم لماذا أراد أن تقابليه.

أعتقد أنه أراد أن يشاركني شيئاً شخصياً للغاية بالنسبة له، وبهذه الطريقة يخلق رباطاً قوياً بيني وبينه. مع هذا، فالرجل الذي قابلته في المصحة لم يكن مفعماً بالحياة ولم يكن متفائلاً كما قال إينفر. على العكس، رأيت شخصاً مزعجاً مصاباً بالمرض ومتعباً من مواصلة الحياة. أتذكر أنه تحدث هو وإينفر عن الحرب والشعر وأنهما انخرطا في ثرثرة لفترة قليلة. وعلى الرغم من أن إينفر حاول أن يخفف عن الشاب، إلا أنني كنت أرى أنه ليس لديه الكثير من الوقت. لقد دمر السل الذي كان مرضاً شائعاً في هذه الفترة

جسم وروح الشاب المسكين. عندما دخلنا إلى غرفته، حياني بأدب لكنه لم ينظر إليّ بعدها. أدركت أن هذا بسبب خجله الكبير من النساء. عندما طلب إينفر الإذن وخرج إلى الحديقة كي يدخن سيجارة.. وبقينا وحدنا في الغرفة، طأطأ الشاب رأسه وبقي صامتاً لدقائق قليلة ثم بعد ذلك قال: «أنت.. هل أنت خطيبة إينفر؟

حقاً؟!

في البداية لم أعرف ماذا أقول. لكنني بعد ذلك فكرت في أن روسو يحتاج حتى إلى الأخبار الجيدة غير المهمة، أمسكت يده وقلت له: «نعم... إننا مخطوبان تقريباً». قال: «أنت جميلة جداً. كنت دائماً أحلم بأن يكون لي صديقة جميلة مثلك. عادة ما أوجه قصائدي لمحبوبة متخيلة، وهي على جميع الأحوال تجميعة من جميع النساء اللاتي عرفتهن جيداً أو بشكل سطحي في حياتي القصيرة. إذا سمحت، سوف أكتب لك بعض الشعر أيضاً..» ابتلعت ريقي. وقلت: «بالطبع، يمكنك بالقطع أن تفعل هذا. وأنا أشكرك كثيراً على مجاملتك». أمسك يدي بحنو وقال كلمات قليلة لم أنسها. «من فضلك... من فضلك اعتني بإينفر جيداً... في الحقيقة، إن هناك طفلاً صغيراً منكسر القلب داخله. مثلنا جميعاً... كبرياؤه وأفعاله الحماسية هي طريقته لحماية الطفل الصغير بداخله ومن أجل إخفاء جروحه، فلا تنخدعي...» عندما ركبت أنا وإينفر عبّارة الساعة الخامسة عائدين، بدا إينفر لي مختلفاً. في المرة الأولى، رأيت وجهه الذي كنت أذكره في ذلك الوقت كما رأيته تحت أضواء المسرح، وجه صافي الحنان. عندها تذكرت وصف روسو له كلما جال بخاطري.

مدام روزيلا، هل تتذكرين بالفعل كل هذا أم أنك تضيفين وتحذفين؟

ها أنت تعتقدين مرة أخرى أنني أختلق الأشياء.

لا أريد أن أفكر بهذه الطريقة بالتحديد، لكن كما ترين فالطريقة التي تصفين بها الأشياء بكل هذا التفصيل..

ما لها؟

أقصد..

مستحيلة بالنسبة لسيدة في سني؟

أرجو ألا تشعري بالإهانة، لكنك تعرفين، كانت هذه الأشياء قبل قرن مضى.

وما الذي يهم إن كانت قبل قرن أم لا؟

حسناً، مدام روزيلا. دعينا ننسى هذا.

لا، لا، قولي لي. ما الذي يهم إن كانت قبل قرن أم لا؟ أنا لا أسأل لأختلف معك... أنا أسأل فقط كي أعرف إجابتك.

أقصد، لابد وأنك نسيت كل شيء.

آنستي، إن كلامك يدهشني... ربما أنت محقة... ربما أزين المشاهد بجمل وأوصاف إضافية. ربما فكرت في هذه المشاهد خلال حياتي كثيراً وبالتالي فمع مرور الزمن تحولت إلى سيناريو ثابت. ما سمعتيه هي جمل وصفية فقدت أصالتها بسبب إعادة كتابتها في عقل سيدة عجوز..

أنا أحب أن أسمعها على أي حال.

بالإضافة إلى هذا، ففي هذا الوقت من حياتي، لم أهتم بالفعل إذا كانت هذه المشاهد مختلقة أم لا. في النهاية هذه هي ذكرياتي، وينبغي أن تُحكى

بالطريقة التي أريدها بها. ويمكنك أن تتوقفي عن الاستماع كلما شعرت بالملل.

حسناً، لا أتوقع أنني سأمل...

ربما في يوم ما، عندما تكونين في سني، ستقفز خارج أعماق ذاكرتك الكثير من الذكريات التي كنت تظنين أنك قد نسيتيها وستكسر السطح مثل سمكة ميتة. لن تغزو عقلك أوصاف فقط، بل أصوات وروائح أيضاً. هل تعرفين السبب؟

لا. لِمَ؟

لأن المستقبل لن يكون أمامك بعدها. ولأن ماضيك فات وانتهى، فستكونين في وسط اللحظة الراهنة ومحاطة بظلال شاحبة تنتظر أن تُعيدي صياغتها.

أوه، هيا مدام روزيلا. أنت مازلت...

وهل تعرفين أسوأ ما بالأمر؟

حسناً، أخبريني.

ستدركين بفزع أنك تعيشين في عوالم الآخرين. فلن يكون هناك رجل أو امرأة أو قطة أو كلب أو طفل تعرفينه من الماضي وبقي على قيد الحياة... وأنا أؤكد لك يا شابتي أن الحياة في عمر غريب أسوأ من الحياة في بلد غريبة. حتى لو تم إقصاؤك إلى بلد أجنبية، فإنك سوف تعيشين على أمل العودة في يوم ما إلى موطنك. مع هذا، فإذا لم يتم اختراع آلة الزمن، فمن المستحيل أن تهربي من العمر الغريب. ستشعرين بالاشتياق إلى الوطن بدرجة لا يمكن التلطيف منها...

أنا أتفهم هذا..

لا أعتقد ذلك...

مدام روزيلا، أنا أتفهم!

طفلتي العزيزة، هذا ليس شيئاً تستطيعين استيعابه بعقلك. فلن يمكنك فهم هذا إلا بقلبك... ومهما كانت نواياك طيبة فمن المستحيل أن تضعي نفسك مكاني...

هذا ما قصدته بالضبط.

قصدت ماذا؟

أقصد، أنني أتفهم الآن أنه من المستحيل أن أفهم كيف تتذكرين الماضي بهذا الوضوح. يا لها من جملة رديئة، أليست كذلك؟ ما أعنيه هو..

نعم آنستي! فهمتك..

أوه! عظيم. لقد اتفقنا أخيراً.

لقد اتفقنا أننا لن نستطيع أن نتفق.

حسناً هذه نتيجة جيدة في حد ذاتها، أليس كذلك؟

بالنسبة لسؤالك الأول...

ذكريني به من فضلك.

إذا ما كنت أختلق الأمور...

حسناً، مدام روزيلا. لقد وصلتني الإجابة.

دعيني أخبرك بشيء أخير. في يوم ما، حين تكونين في مثل سني،

ستدركين أنك تعيشين في عالم الآخرين، وستودين لو تعيدي في ذاكرتك بناء عالمك الذي تنتمين إليه. وستحتاجين إلى أداتين أو ثلاث كي تدركي هذا: ذاكرة ضعيفة، وخيالك، والوقت الحاضر اللعين الذي ستخلطين فيه المقومين الأوليين.

إذاً، فأنت تريدين أن تقولي: «أنا أعرف الشباب، لكنك لا تعرفين الكبر..»

أوه، لا.. أنا لا أحب هذه الأغنية المزعجة على الإطلاق. إنها تضايقني بالفعل.

بالمناسبة، لقد نسيت زيلدا شراب النعناع...

لا، لقد نسينا أن نطلبه منها..

نعم، بالضبط...

زيلدا! زيلدا، أين أنت؟!

15

مرحباً بيلين. تبدين شاحبة اليوم...

هذه المدينة تخنقني...

أعرف يا صغيرتي.

أنا بالفعل ملأى بالسأم مدام روزيلا... أشعر أن قنبلة موقوتة بداخلي يمكن أن تنفجر في أي وقت.

أعرف هذا أيضاً..

ما لا تعرفينه هو أنني أشعر بالضجر من نفسي حين أتصرف كمراهقة محبطة.

تنزعجين من نفسك؟ ماذا تقصدين؟

أعني أنني أكره نفسي. أنا بالفعل لا أحب ما أرى عندما أشاهد نفسي بعيون الآخرين.

أعتقد أن هذه هي المشكلة على وجه التحديد.

ماذا؟

أنت تفكرين كثيراً في رأي الآخرين.. وهذا مرض مرتبط بالسن الصغير.

ومثل هذه الجمل تقضي عليّ تماماً!

لِمَ؟ هل هناك من يقولها أيضاً؟

بالتأكيد.

من؟

نحمني...

والدك.

نعم...

لكن هذا ليس استثنائياً... عادة ما يقول الآباء مثل هذه الأشياء.

لكن حين يقولها أبي فإنها تبدو أفظع.

وهل بدأتما تتحدثان مع بعضكما مرة أخرى؟

للأسف، نعم... اضطررنا لذلك.. عندما تخلى ساركيس عن القيام بمراقبتي، تلقيت من أبي عشرين مكالمة لم أرد عليها، وعلى الأقل خمس عشرة رسالة في يوم واحد. في النهاية رددت على الهاتف، وتحادثت أنا وأبي.

ماذا قال؟

قال إنني في فترة حساسة من حياتي، وإنه يخاف أن آخذ قراراً خطأ، إلى غير هذا...

آنستي، لماذا لا تصدقين أنه يحبك حقاً؟

أنا أعتقد في هذا يا مدام روزيلا.. لكن ما يضايقني هي الطريقة التي يظهر بها حبه.

هل تعتقدين أنها طريقة بها شيء من الغطرسة؟

غطرسة؟

أنانية.

نعم، إنها تبدو أنانية جداً. أعتقد أنه يفعل هذا فقط كي يمنعني من

التسبب في أي مشاكل؛ فلا تنزعج صديقته الفاضلة.

وما نوع المشاكل التي تستطيعين التسبب فيها؟

على سبيل المثال، يمكنني أن أبدأ في تعاطي الكوكايين... أو أن أحمل... أو أن أبدأ العمل كجاسوس لصالح المافيا التركية...

لكن هذه لن تكون مشكلاته هو.

بالطبع ستكون مشكلات له.

آنستي في هذا العالم، كلٌّ يحمل مسئولية نفسه...

هذا ليس صحيحاً مدام روزيلا! إنه والدي!

ولديه حياته الخاصة به.

مثل أمي؟

نعم... بالضبط مثل أمك.

لا أعتقد أنك ستحاولين تبرير موقف أمي لي.

آنستي، أنا كبيرة بما يكفي لأن أعرف أنه لا يوجد من يستطيع إقناع آخر في هذه الحياة. كل ما أستطيعه هو أن أجعلك تنظرين للمسألة من منظور آخر.

مدام روزيلا، أنت لبقة للغاية.

اعتبريني كما تريدين.

...

...

أنا آسفة...

لا يا آنستي. من فضلك.

أنا وقحة مرة أخرى، أليس كذلك؟

حتى وقاحتك لطيفة.

إنني ساذجة محبطة لا تستطيع أن تصل إلى الرشد. هذا هو السبب الذي يجعل كل شيء أفعله في حياتي غير ناجح.

وما الذي لم ينجح في حياتك؟

لا شيء.. أتحدث على وجه العموم.

هل أنت متعثرة في الجامعة؟

لا، لست كذلك.

هل لديك سل؟

لا، لم يحدث هذا إلى الآن.

هل المشكلة أنك ليس لديك حبيب؟

من فضلك مدام روزيلا..

لا أعرف والدتك... وأنا لست حمقاء حتى أدافع عن شخص لا أعرفه. لكنني أتمنى لو أكتب لها خطاباً كي أسألها عن صلواتها.

هل تعتقدين أن هذا سينجح؟

هل ذهبت قبل ذلك إلى كنيسة أيا يورجي؟

الكنيسة التي في بويوكادا؟

نعم.

لا، لا لم أفعل.

في تلك الأيام، كنت أذهب هناك كلما شعرت بالملل أو الحزن. كما تعرفين، فينبغي عليك أن تتسلقي تلاً منحدراً كي تصلي إلى الكنيسة. لست خبيرة في معتقدات المسيحيين الأرثوذوكس، لكن ما أعرفه أن تسلق التل يرمز إلى معاناة النسَّاك. في النهاية، عندما تصلين إلى هناك، توقدين شمعة وتصلين بغض النظر عن ديانتك. قد يكتب بعض الناس صلواتهم على أوراق صغيرة ويتركونها في الكنيسة. هل تعرفين ما أكثر الأشياء إثارة في هذا؟

أن جميع الدعوات واحدة؟

برافو آنستي! الدعوات دائماً واحدة. يصلي الناس الذين لديهم معتقدات دينية مختلفة في الكنيسة على هذه الجزيرة اليهودية، لكنهم يطلبون من الرب نفس الأشياء: ربي امنحني صحة وبنياناً جيداً... امنحني زيجةً صالحة... امنحني أبناء صالحين... لا تدعني أشعر بالخزي تجاه أسرتي.. اجعل عملي يسير على ما يُرام... أما الأفراد الأقل أنانية والأكثر محبة للغير فهم يدعون للبشر أن يصبحوا أخوات وإخوة ويدعون بانتهاء الحروب..

هل مازال هذا يحدث إلى اليوم؟

على الأغلب.. أيا يروجي ليس المكان الذي يتغير بهذه السهولة...

لكن كيف هي صلوات أمي في رأيك؟

لا أعرف. ينبغي أن تسأليها...

لدي ما يكفيني مدام روزيلا.

أعتقد أنني أزعجتك.

أوه، لا، لا تقولي هذا! لكنني لست معتادة أن أتحدث عن والديّ.

كما تريدين.

هل يمكننا تغيير الموضوع؟

بالتأكيد. ما الذي ينبغي أن نتحدث عنه؟

لا أعرف... ماذا عن التنس؟

لا أشعر بأن لدي الرغبة للحديث عنه.

ربما يمكنك الاستمرار في حكايتك.

حسناً. لكن مهلاً، أين توقفنا؟

أمي...

ما الذي كنا نتحدث عنه قبل هذا؟

أبي...

استمر أبوك في الاتصال بك. بعد أن...

بعد أن استقال جاسوسه الذي كان يتبعني.

صحيح! ها أنت تبدئين...

لماذا نتحدث عن هذا؟

لقد جاء إلى هنا منذ يومين.

من؟

الحلواني.

ساركيس؟

نعم.

ما الذي تقصدينه بأنه جاء إلى هنا؟

أعني أنه زارني.

ما الذي تقصدينه يا مدام روزيلا؟

ولِمَ لا؟

لا! لا أصدق هذا... يا لـ وقاحته!

لا، لا تغضبي بسرعة هكذا.

كيف لا أغضب، مدام روزيلا؟ كيف يفعل هذا؟ كيف يجرؤ على المجيء إلى هنا؟ من يظن نفسه هذا المعتوه؟

أعتقد أنك تبالغين.

وماذا أراد إذاً؟

أن يتحدث.

بأي شأن يريد أن يتحدث؟

عن مشاعره تجاهك.

مدام روزيلا، قولي لي إن هذه مُزحة سخيفة، من فضلك.

بالعكس. كان جاداً للغاية.

أنا أبذل قصارى جهدي كي أبقى هادئة، لكنه تخطى جميع الحدود. إنه لم يتورع عن المجيء إليك وإزعاجك. يا لـ جرأته!

أوه، زيلدا! لقد جئت في الوقت المناسب. آنستي، ماذا تشربين؟

لا.. أشكرك.

هذا سيجعلك تهدأين.

أنا هادئة!

حسناً، لا تغضبي من فضلك.

أنا لست غاضبة!

لكن الفتى المسكين لم يفعل أي شيء يخجل منه. لقد جاء إلى هنا وتكلم مثل رجل نبيل.

وماذا قلت له؟

لا شيء. أنا أجبته فقط على أسئلته وتحادثنا قليلاً.

وما الذي يريده؟

اشتكى من أن لديك انطباعاً خاطئاً تماماً عنه.

خاطئ؟ أنا لا أعرفه على الإطلاق يا مدام روزيلا! في نظري هو شخص مزعج فحسب يتعقبني من أجل المال.

هذا صحيح... إنه لا يريد أن يكون مصدر إزعاج. يريد أن يكون صديقاً.

لكن ما الذي يجعلني أقبل بهذا؟

لا أعرف... الأمر متروك إليك.

مدام روزيلا، أحياناً لا...

ماذا؟

لا أعرف... أحياناً أشعر أنك لا تفهمين مدى خطورة الموقف.

آنستي، إن حياة اليهودي تضطره إلى أخذ أتفه الأشياء بجدية. وأنا آخذ مشاعر ساركيس على محمل الجد.

لكنك لا تأخذين مشاعري بجدية.

ألا تلاحظين أنك تظلمينني هكذا؟

لا أعرف يا مدام روزيلا.

لقد دق الشاب بيتي. ماذا كان عليّ أن أفعل؟

كان عليك ألا تدعيه يدخل.

عزيزتي بيلين، يمكنك أن تقرري من ستصادقين. وبالمثل فأنا من يقرر من أسمح لهم بالدخول إلى بيتي... بالإضافة إلى أنه رجل محترم ومهذب للغاية. شاب أرميني متواضع ونبيل. إنه منزعج للغاية من الوظيفة التي كان عليه أن يقبل بها ليتبعك. طبقاً لما قاله فقد كان عليه أن يقبل الوظيفة لأن شخصاً لا يستطيع أن يرفض أوامره أجبره على هذا. وإلا فلم يكن ليغادر محل الحلواني... معذرة، لماذا تضحكين؟

أعتقد أنني فقدت التحكم في مشاعري.

إن حلمه الأكبر هو أن يفتح محل حلواني خاص به في إسطنبول. كما أنه أحضر معه بعض الكعك. بالمكسرات. كعك خفيف للغاية. هل تحبين أن أحضر لك بعضاً منه؟ يمكن لزيلدا أن تحضر بعض...

لا.. أشكرك مدام روزيلا.

وهل تعلمين أنه أيضاً رأى إعلاني في الجريدة؟ وكان شغوفاً جداً به.

تساءل عن الشخص الذي يمكن أن يبحث عن من يعرف التركية...

كان عليه أن يتقدم.

لقد فكر في هذا، لكنه لم يستطع؛ حيث كان عليه أن يتتبعك.

ياه، شيء يثير الشفقة!

صحيح!

لا أعرف ماذا أقول...

فقط كوني متأكدة أنه ليس هناك سبب لأني تشعري بعدم الارتياح. إنه شاب خجول للغاية. لقد وقع في حبك بينما كان يراقبك كجزء من مهمة أمر بها. وإذا ما اعتبرنا كم أنت جميلة، فلا يمكننا أن نتهمه بشيء، أليس كذلك؟

أنت لطيفة للغاية...

حسناً، إن الأمر يعود إليك. لكن من فضلك لا تكسري قلبه.

هذه المرة الثانية التي تقولين فيها هذا. لماذا عليّ أن أكسر قلبه؟ أنا حتى لا أعرفه.

حسناً، أنا أقول هذا فقط تحسباً لـ...

هل أبدو كشخص يمكنه أن يؤذي أحداً؟

كي أكون أمينة معك، أحياناً تبدين كذلك.

هل آذيتك من قبل مثلاً؟

لا..

إذاً؟

أنا وأنت أصدقاء. أصدقاء حميمون... لكن الأمر الآخر ليس كذلك على الإطلاق...

أي أمر آخر؟

الحب يا آنستي.

فهمت! ها نحن مرة أخرى!

آنستي ما الخطأ في الحب؟ لماذا تشعرين بخوف شديد حين يحبك شخص ما؟ فقط لأن أمك تركتك سـ..

ماذا؟

...

ماذا أفعل مدام روزيلا، لأن أمي تركتني؟

على أي حال...

من فضلك أكملي...

على أي حال يا آنستي... سامحيني أنا تماديت كثيراً.

لا تقلقي. ربما أنا حمقاء بعض الشيء. لا أعرف... عليّ أن أفكر...

أنا حدثتك كما يتحدث إليك صديق حقيقي. لكنني أعد ألا أتطرق إلى هذا الموضوع إلا إذا أردتِ.

على أي حال... هل كانت الكعكة جيدة؟

نعم... لذيذة للغاية.

إذاً، دعينا نتناول قطعة منها. في الحقيقة، أنا أقوم بعمل حمية غذائية، لكن...

أوه عزيزتي بيلين! لا تحتاجين إلى عمل حمية غذائية. الآن سنطلب من زيلدا وستحضر لنا قطعاً من الكعكة.

16

يوم مشمس أخيراً.

نعم. أحب مثل هذه الأيام. في الحقيقة لقد تأخرنا كثيراً في الذهاب إلى الحديقة.

لا ينبغي عليك القلق بشأن هذا الخرطوم يا آنستي. ستعتني به زيلدا في الظهيرة.

لا مشكلة. إنه مسدود فقط.

لقد أحضرت أنا وألدو هذه المقاعد الحديدية المزخرفة من ساليزبرج منذ وقت طويل مضى.

أنت تفتقدينه إذاً؟

ألدو؟

نعم...

لوقتٍ ما لم أكن أفعل أي شيء سوى افتقاده.

والآن؟

لا أفتقده الآن... أعني أن ساعتي حانت أنا الأخرى.

ها قد بدأتِ مرة أخرى.

أنا سيدة عجوز مريضة.

أوف! مدام روزيلا!

آنستي، متى عيد ميلادك؟

في 23 فبراير.

يا إلهي! برج الحوت!

نعم. في الحقيقة أنا بنت الشتاء، لكنني لا أحب الطقس البارد ولا الثلج على الإطلاق. ومتى عيد ميلادك أنت؟

26 مايو.

وما هو برجك؟

برج الجوزاء.

لم يبق الكثير على عيد ميلادك. ثمانية أسابيع فقط...

هل تعرفين لِمَ أحب الحوت كبرج؟

لِمَ؟

لأن الفرد المنتمي لبرج الحوت لا يضمر ضغينة أبداً. الحوت يعرف كيف يسامح.

حسناً. الخرطوم يعمل الآن. كان مسدوداً بالحشائش.

هل أنت أيضاً كذلك؟

مثل ماذا؟

أقصد هل تعرفين كيف تسامحين؟

لست مثالاً جيداً لبرج الحوت يا مدام روزيلا.

لِمَ؟

لستِ إنسانة عاطفية.

أنتِ.. لستِ عاطفية...

صحيح. في الحقيقة أنا حمقاء.

أعلم لِمَ تقولين هذه الأشياء.

أنا أيضاً أعرف. لأنني حمقاء.

لا، بل لأنك تريدين أن تبدين كحمقاء.

ربما...

لأنك خائفة من أن تتأذي.

هذا ممكن يا مدام روزيلا... أين ينبغي أن أضع الخرطوم؟

أتركيه هناك فحسب.. لقد أصاب الوحل بنطلونك.

لا يهم. حسناً.. ألا يوجد كعك اليوم؟

لا.. ألم ترينه؟

تقصدين ساركيس؟ لا، لم أره مؤخراً. ربما كَرَّس نفسه لمحل الحلواني الخاص به، مبتهجاً بأنه قد تخلص مني.

كعكة ستارادل؟

أحبها!

زيلدا، أنا أيضاً أحب قطعة من كعكتك الشهيرة من فضلك. وليمونادة أيضاً.

هل لي أن أسألك سؤالاً يا مدام روزيلا؟

تفضلي.

ألم يرك أحد أنت وإينفر سوياً؟

كيف؟

أقصد، ألم يُروِّج أي شخص إشاعات بشأنكما؟ أنا متأكدة من أن عدد اليهود كان قليلاً في هذه الأيام.

في الحقيقة، لقد كان المجتمع اليهودي في إسطنبول أكبر عشر مرات منه هذه الأيام... وبطبيعة الحال، فقد كانت رؤية يهودي لك أمراً أيسر...

إذاً، كيف تقابلتما؟

كنت أذهب في العادة إلى المطبعة الموجودة في كاجالوجو، والتي كان يعمل بها مصححاً.

ماذا كان يعمل؟

مُصحح يا آنستي... يُشبه هذا وظيفة المراجع.

أوه، حسناً.

كان له غرفة تطل على فناء ضيق كريه. في الحقيقة، لقد كانت هذه الغرفة بحيماً، لكننا كنا سعداء للغاية بكوننا مع بعضنا البعض لدرجة أننا أحببنا غرفتنا... أحياناً كان يتحدث عن العمل مع العاملين الذين كانوا يدخلون إلى الغرفة ويخرجون منها، وفي أحيان أخرى كان يخبرني عن عالمه.

لكن ألم يسأله أي من الذين دخلوا عليه من هي تلك الشقراء؟

لقد أخبرهم أنني ابنة عمه.

أنا متأكدة من أنهم صدقوه!

ربما... حيث لم تحدث له أي مشكلة لوقت طويل... كنا نخرج بعدما

ينتهي من عمله، ونتجول في شوارع المدينة القديمة.

أين كنتما تذهبان؟

فيث، كانكيرتاران، فيفا... وأحياناً كنا نذهب إلى إياب وجولهين أيضاً. وغالباً ما كنا نذهب إلى مقهى في شارع خلفي في لاليلي. كنا نجلس بالداخل إلى جانب المدفئة عندما يكون الجو بارداً. يمكنني أن أقول إنني عرفت إسطنبول الإسلامية بحق مع إينفر ريجان. لقد كان هو من عرّفني بالسمات الفريد للمدينة.

هل كان متديناً؟

من؟ إينفر؟

نعم.

لقد كان شيوعياً يا عزيزتي...

ومن ثم؟

كان لا دينياً. لم يكن مؤمناً بوجود الرب. كان يؤمن بالفلسفة المادية... لكنه كان يقول هذا دائماً من وراء قلبه وأمام الآخرين، بينما كان يشعر في أعماقه بأنه مسلم. كانت أمه الراحلة قوية الإيمان. وكان هناك الكثير من الدراويش، وكذلك الكثير من حفظة القرآن في عائلته. ودائماً ما كان القرآن الكريم يُتلى في بيته. كما كان مهتماً بالتعرف على اليهودية. بذل إينفر مجهوداً في دراسة عالمنا، لأن ماركس كان يهودياً.

ماركس صاحب الماركسية؟

لا.. أعني جروتشو ماركس بالتأكيد!

من هو على أي حال؟

ألم تسمعي من قبل بأرساك بالبركان(12)؟

لا.

?The Three Kindred Spirits(13)

امم...

لا عليك. يا آنستي. لم أسمع بشيبنيم فرح أنا أيضاً.

حسناً فعلت بأن ذكرتيني، لقد أحضرت لك ألبوماً لها معي. ربما يمكنني أن أسمعه.

لكن لا يوجد في هذا المنزل جهاز يمكننا من سماعه...

معي مشغل أقراص في حقيبتي. وقد أحضرت معي سماعتين صغيرتين. دعيني أخرجها.

أين سنستمع إلى هذا؟

هنا، عند الطاولة... ها هو مُشغل الأقراص. وها هما السماعتان. لدينا أيضاً بعض البطاريات.

أنت محبة للتكنولوجيا للغاية.

أبداً. إن مُشغل الأقراص هذا متوافر منذ فترة، لكنني أحبه.

أنا لا أستطيع أن أتخلى عن تسجيلاتي أيضاً.

ربما... هيا مدام روزيلا...

أين توقفنا؟

في مقهى، في لاليلي.

كنا نتحدث لساعات ونتوه في كلمات بعضنا البعض. بينما كنا نتحدث، كنت أشعر بموسيقى اللغة التركية تتخللني. كان هو نصفي الآخر. وكنت أنا نصفه.

هل نمتما سوياً؟

لا.

لا أستطيع أن أصدقك...

آنستي، ماذا تظنينني؟

حسناً، لقد كنتما تحبان بعضكما البعض...

للحب أشكال كثيرة مختلفة يا عزيزتي... وأيضاً المضاجعة. أحياناً، يمكن للمسة لطيفة، أو لاستدراة من شفتيك، أو لابتسامة أن تحل محل المضاجعة بشكل تام.

حقاً؟

نعم.

لكن هل تعطي نفس المتعة؟

في الحقيقة، لم يكن الحصول على هذه المتع بالأمر الصعب على شخص مشهور مثل إينفر ريجان. لم أسأله قط عما كان يفعله في الوقت الذي نكون فيه بعيداً عن بعضنا البعض. كما أنه لم يخبرني أيضاً.

كنت سأشعر بغيرة كبيرة لو كنت مكانك.

حسناً، أحياناً كنت أشعر بالغيرة... كنت أتأذى إذا ما رأيت خصلة من

شعر داكن على معطفه، أو إذا ما شممت عطراً غريباً. أحياناً كنا نتشاجر ولا نتبادل أي كلمة لأسابيع لهذا السبب. لكن من ناحية أخرى، كانت بيننا موافقة ضمنية على هذا.

إذاً، فقد قبلت بهذا.

ربما... أعتقد أنه وجد فيّ ما لم يجده في أي امرأة أخرى... فقد كنت أعطيه الحنان، وكنت أشعره بالأمان... الإحساس بالأمان أمر مهم للغاية لطفل مُقيم.

مُقيم؟

أعني طالب في مدرسة داخلية.

وأين كان يدرس؟

مدرسة جلاطة سراي... بعدما رحلت أمه...

وكيف كنت تشعرين وأنت معه؟

كان يُشعرني بأنني امرأة وأن لي قيمة... عندما كنا نلتقي كنا نتحدث في كل شيء تقريباً. لكننا كنا في أغلب الأحيان نتحدث عن الشعر والحرب... عندما اقترب هتلر من موسكو، كان مؤمناً بشدة بأن الفاشيين سيهزمون... كان يعتقد أن الجنرال زوكوف لن يُهزم وأنه سيطارد الفاشيين عاجلاً أم آجلاً.

مدام روزيلا، مازلت أفكر في موضوع المضاجعة هذا.

ماذا تقصدين؟

ألم تتبادلا حتى قبلة؟

ليس إلى هذا الحد يا آنسة.

فهمت! أخبريني عن هذا من فضلك.

عن القبل التي تبادلناها؟

نعم... كيف كانت؟ هل كانت لطيفة؟

أنت ظريفة...

أنا جادة في هذا... هل كان ماهراً في التقبيل على الطريقة الفرنسية على سبيل المثال؟

أوه، زيلدا! لقد أرسلك الرب في الوقت المناسب! آنستي، من فضلك كلي الكعك الخاص بك واتركيني وشأني.

امم... تبدو هذه الإجابة مريبة بالنسبة لي.

لا تتدخلي فيما لا يعنيكي يا آنسة...

أوه، هيا! من فضلك أخبريني... كيف كانت قبلته؟

كانت رائعة... فاتنة للغاية... كانت قبلته تُسبي الروح وتأخذها من داخلك... بالمناسبة، هذه الأغنية لطيفة بالفعل.

هي كذلك بالفعل!

نعم. كانت الأغنية السابقة مليئة بالصخب بعض الشيء، لكن هذه جيدة للغاية. مليئة بالأحاسيس... كما أن الفتاة تغنيها بشكل جيد جداً. ماذا كان اسمها؟

شيبنيم.

لا. اسم الأغنية.

«وداعاً».

إنها تلمسك في أعماق أعماقك.

أنا أحبها للغاية. حزينة للغاية لكنها مليئة بالكبرياء أيضاً..

من الواضح أن لها قصة.

نعم. أعتقد أن أي شيء له قصة يكون جميلاً.

هل أنا جميلة إذاً؟

مدام روزيلا، أنت أروع فتاة رأيتها إلى الآن!

لا تقولي هذا!

أقسم بالرب.. لكنك محظوظة لأننا لسنا متقاربتين في العمر.

آنستي أنت تخيفينني.

أنا أقول هذا كي أخيفك.

حسناً...

من رآك إذاً؟

آسفة؟

لقد قلت إنكما لم تعانيا من أي مشاكل لوقت طويل... ماذا يمكن أن يحدث بعدها؟ لقد خمنت أن أحداً رآك معه.

نعم.

من؟

جاكلين.

عدوتك اللدودة!

صحيح...

برافو يا مدام روزيلا، لقد أصبت الهدف حقاً!

لقد كان هذا مريعاً! كان إينفر يودعني عند المرسى في إيمنونو في كل مرة نتقابل فيها. وفي هذا اليوم تصادف أن جاكلين كانت خارجة من العبّارة.

مدام روزيلا، أرجو ألا تعتبري هذا إساءة لك، لكنك لم تكوني حذرة على الإطلاق.

بل كنت حذرة، ألا ترين هذا؟

لا. فكري في هذا فحسب. كنتما في وسط إيمنونو.

كنت صغيرة.

...

...

أنت غارقة في التفكير.

ربما أكون قد زينت الكثير من الذكريات في عقلي، لكنني لم أنس هذا المشهد. مازال بإمكاني رؤية العبّارة وهي تقترب من بعيد... عندما استدرت كي أُلوّح لإينفر، قابلت جاكلين، أو قابلت عينيها اللتين كانتا تحدقان فيّ بكراهية كبيرة. نظرت إلي أولاً ثم إلى إينفر الذي كان يُلوّح لي غير واع بالموقف... في هذه اللحظة بالتحديد، شعرت بأن حياتي ستتغير. شعرت للحظة بالرغبة في النزول عن العبّارة، والجري نحو جاكلين كي أخبرها

أن هذا ليس كما تعتقد، لكن لسبب أو لآخر لم أستطع فعل هذا. ثبتتني الكراهية التي تتدفق من عينيها في مكاني.

يبدو هذا مريعاً بالنسبة لي.

إن كلمة مُريع هنا أقل من أن تصف الموقف يا صغيرتي.

وماذا حدث بعدها؟

ما الذي لم يحدث...

من فضلك أخبريني...

هذه الأغنية التي كنا نسمعها... هل كان اسمها «وداعاً»؟

نعم.

هل يمكن أن نسمعها مرة أخرى؟

بالتأكيد. حالاً...

لقد سبب هذا فضيحة في العائلة. لم أستطع التعرف على ربيكا حماتي... فقد حلت محل المرأة رقيقة القلب التي كنت أعرفها أخرى متفحصة مراقبة. كانت تدور حول المنزل وتقول « كي مال موس كير، كي مال موس كير».

ما معنى هذا؟

«ليحمينا الرب من الشرور».

ألم تشرحي الموقف لهم؟

ما الذي يمكنني شرحه يا صغيرتي؟ كنت أشعر بوخز الضمير بالفعل وقتها.. هل كنت سأخبرهم مع هذا كله أنني كنت أقابل رجلاً وسيماً كل

أسبوع لأشهر كثيرة؟

حسناً، كان من الممكن أن تكذبي...

هل تظنين أن لقائي بجاكلين كان من قبيل الصدفة البحتة؟

ألم يكن كذلك؟

كانت جاكلين تتبعني كما يتبعك ساركيس بالضبط. وكانت تفعل هذا للعديد من الأسابيع... عندما كانت في زيارة مع صديقة إلى «بالات» رأتنا ونحن نتجول في إمينونو. ومنذ ذلك اليوم تبعتني في كل مرة أترك فيها المنزل.

ألم يكن لديها ما تفعله؟

في هذا الوقت كانت طالبة. كانت تدرس الرسم في أكاديمية الفنون الجميلة.

إذاً فقد كنتِ في ورطة حقيقية...

لقد حدث ما هو أسوأ... قبع صمت كئيب على المنزل. بعدما انتهت جلسات التحقيق الأولى، لم يعد أي أحد يتحدث معي على الإطلاق، ولم يسألوا عن أي شيء آخر.

وماذا قلت له؟

لا شيء.

ألم تقولي أي شيء؟

لا.

ألم تكذبي ولو كذبة صغيرة؟

لم أكن أريد أن أصم نفسي بالكذب. بالإضافة إلى أنني كنت أشعر بذنب كبير، وكنت على استعداد لدفع الثمن.

وماذا فعلوا؟

في النهاية، كنت أنا أم حفيدتهم الحبيبة. كانوا طيبين بدرجة منعتهم من فعل أي شيء يزعج تانيا. لكنني شعرت بأنني أضحيت زوجة ابن غير مرغوب فيها. في مساء أحد الأيام جريت نحو جاكلين أمام المنزل. كان القماش الذي ترسم عليه تحت ذراعها، وكانت عائدة من الأكاديمية. توقفت حين رأتني وحملقت فيّ دون أن تقول أي شيء.

كان لابد أن تسأليها لِمَ تسببت لك في كل هذا الأذى.

لقد فعلت.

وماذا قالت؟

قالت إنني اعتبرت نفسي ذكية للغاية. كانت تعتقد أنني ظننت أنهم حمقى، وأن لكل جريمة عقوبة.

واو! وماذا عن أخت زوجك؟

لينت؟

نعم... ألم تتكلم معك هي أيضاً؟

كانت لينت حائرة بيننا بشكل تام... لم أشك في أنها كانت تحبني، لكنها لم تدري ماذا تفعل. في المساء، بعدما وضعتُ تانيا في سريرها كي تنام، جاءت لينت إلى غرفتي. تعانقنا وانفجرنا في البكاء. بعدما صمتنا لفترة دون أن ننبس بكلمة، طرفت بعينيها الجميلتين وكانت تعرف أن الرجل الذي يتحدثون عنه هو إينفر ريحان.

كيف عرفت هذا؟

ليس لدي أدنى فكرة. كانت تعرف فحسب.

امم...

قالت إنها حاولت بجد أن تكرهني. فألدو هو أخوها العزيز رغم كل شيء، لكن إعجابها بي وبإينفر منعها من مثل هذه المشاعر السلبية، لكن رغم كل شيء فقد كانت منزعجة.

لأنها لم تستطع أن تكرهك؟

نعم... لقد آلمها هذا كثيراً.

ومازلت متحيزة للحب يا مدام روزيلا... بعد أن عانيت كل هذا بسببه.

حسناً، دعيني أخبرك بشيء. كنت أشعر أنني هادئة وقوية بشكل مدهش كما لو أنني كنت أرتدي درعاً غير مرئي. كانت الهمسات التي تقال من ورائي في المنزل، والنظرات ذات المغزى من الجيران، والأحاديث المتصلة عني، تتهشم أمام هذا الدرع وتتكسر إلى ذرات صغيرة. كان الدرع مصنوعاً من الحب الذي كنت أشعر به تجاه إينفر، وقد كان هذا الحب هو ما حماني من المصائب الأفدح التي تلت هذا.

أي مصائب؟

مصائب تاريخية يا صغيرتي...

أتعنين ضريبة الثروة وما شابه؟

لا.. شيء قبل هذا.

إذاً ماذا؟

في ظهيرة أحد الأيام، لم يعد أي من رجال العائلة.

لِمَ؟

هذا ما حدث... لم يعد عم ألدو ولا ايفي ولا أخ ألدو غير الشقيق أفرام والذي كان يُعالج من الربو لمدة...

وماذا حدث لهم؟

تم تجنيدهم بشكل قسري في الجيش.

جميعهم؟

نعم... جميعهم...

ألم يتموا تجنيدهم في الجيش من قبل؟

لقد أتموا الخدمة جميعاً ما عدا أفرام. لكنهم جُندوا مرة أخرى. كانوا في طريقهم من العمل إلى المنزل. بينما كانوا يغادرون العبّارة، تفحصت الشرطة بطاقات الهوية الخاصة بهم، وتم إرسالهم إلى قسم الشرطة لأنهم لم يكونوا مسلمين... ومنه إلى الجيش.

مدام روزيلا، من فضلك اغفري لي جهلي التام.. لكن لماذا؟

في البداية، حاولنا ألا نستسلم لأفكار سلبية. جمعنا حماي الذي كان الرجل الوحيد المتبقي في العائلة كي يخبرنا بأن علينا أن نبقى أقوياء وأن البلاد على وشك الدخول في حرب. كان هتلر قد وصل إلى أثينا بالفعل، وكان طبيعياً للغاية أن تحتاج البلاد لتجنيد القوات. ومثل جميع الرجال الشرفاء كان على رجالنا أن يقوموا بواجبهم تجاه البلاد.

لكن هل تم تجنيد أفراد آخرين أيضاً؟

لا... تم تجنيد غير المسلمين فقط...

تبدو طريقة تجنيدهم غريبة بالنسبة لي.

نعم، مُهينة بعض الشيء، أليس كذلك؟

بعض الشيء؟

أقصد.. نعم، كانت مُهينة.

لو أن تذكر هذا كله يزعجك...

لا يا عزيزتي. ألسنا هنا كي نتذكر؟

وكيف أثر هذا عليك؟

كان له أثر سيء.

مما يعني؟

هذه المرة، بدأت جاكلين تزعم أنني جلبت الحظ السيء للأسرة. كانت تخبر الجميع أن جميع المصائب الفادحة أصابت العائلة وأنا معهم. الأمر السيء في هذا أنه بتفكير هذا الوقت فقد كانت النساء في العائلة تعتبر هذا صحيحاً.

يا لـ لموقف «الزبالة»...

معذرة؟

«زبالة» يا مدام روزيلا... أعني سيء للغاية.

لا أحب هذه الكلمة، لكن نعم، أنت محقة. كانت جميع النساء في الجماعات غير الإسلامية في مثل هذا الرعب حتى أن وجود تانيا لم يعد كافيا لمواساتي. في عيونهن كنت أنا مصيبة، ساحرة شريرة من العصور

الوسطى، أو ليليث التي جاءت من الشمال وجلبت معها الكوارث للرجال في العائلة؛ خاصة ألدو. لحسن الحظ فقد كانوا طيبين. كانوا يهوداً طيبين فلم يكونوا ليلقوا بزوجة ابنهم، المتروكة في كنفهم، في الشارع، لكن...

لكن..

لكن وجودي ضايقهم رغم كل شيء... لم يطيقوا العيش تحت سقف واحد معي، وتنفس نفس الهواء الذي أتنفسه. استمرت ربيكا في تذمرها وكانت تسأل الرب بصوت مرتفع عما فعلته كي يحدث لها هذا كله كي تؤكد أن كل ما يحدث له علاقة بي.

و؟

في النهاية قررت أن أرحل.

وحدك...

نعم. جمعت متعلقاتي القليلة وأخذت تانيا وغادرت المنزل دون أن أودع أي شخص ما عدا لينت.

ألم تتركي أي خطاب؟

لم يكن هناك حاجة لهذا يا آنستي. كان كل شيء صعباً بما يكفي.

وأين نويت أن تقيمي؟

صدقيني، لم يكن لدي أدنى فكرة عما سأفعله في الأيام التالية. كان لدي ثلاثة طلبة وكنت أعيش بالكاد من النقود التي أكسبها. لكني احتجت إلى مكان للإقامة بالإضافة إلى بعض الأثاث...

وماذا عن إينفر ريجان؟

لقد اقترح أن نقيم معه لفترة. على الأقل في البدايات. عندما لم أقبل باقتراحه، رتب لنا كي نقيم في منزل سيدة يونانية في لانجا. فلترقد في سلام. كانت مدام إليني سيدة طيبة القلب للغاية. كان ابنها الأكبر هو عائلتها كلها وتم اقتياده للجيش أيضاً مثل الرجال في عائلتنا. وبالتالي فقد أعطتنا غرفته. كانت تقضي طول اليوم في الاعتناء بحديقة صغيرة، وفي المساء كانت تخبز الفطائر وتصنع الكعك. كثيراً ما جلسنا وتحدثنا أنا وهي في الحديقة. أخبرتني عن ماضيها، كما أفعل أنا الآن معك.

إذاً، لم تكن هذه أيام يسيرة بأي حال.

لم تكن كذلك، لكنني تعلمت فيها الكثير.

بمفردك وأنت تعولين طفلة.

تعرفين يا آنستي أن لكل خبرة في هذه الحياة فائدة... فكل شيء نمر به يعلمنا شيء. ويمكنني أن أقول إن هذا الشيء الذي يُدعى حياة يحاول أن يتواصل معنا بشكل دائم. ويتوقع منا أن ندرك الرسالة المرجوة من كل شيء يضعه في طريقنا.

إذاً، هل كنتِ قادرة على إدراك الرسالة؟

قليلاً.

وماذا كانت؟

...

ليس عليك أن تخبريني إذا لم تريدي.

المسألة لا تتعلق بما أريده. أنا فقط لا أعرف من أين أبدأ...

لا يوجد داعي للعجلة... لدينا كل ما نحتاجه من الوقت.

تحدثي عن نفسك يا شابتي.

أوه، مدام روزيلا، لم أقصد ما فهمتيه. كل ما قلته أن عليك أن تسترخي.

تعنين أن أهون عليّ؟

نعم، هوني عليك. وحافظي على ابتسامتك.

حسناً. هل يمكنني أن أسألك سؤالاً؟

تريدينني أن أخفض صوت المشغل، أليس كذلك؟ نعم، هذه الأغنية...

حسناً، يبدو أن أذنيك غير معتادتين على سماع هذه الموسيقى الصاخبة.

موسيقى صاخبة؟ مدام روزيلا! لست أنت من يقول هذا الكلام!

أنا أحب أن أجعلك تضحكين.

أشكرك كثيراً إذاً!

ما الذي حدث بينك وبين معجبيك (اليوناني والروسي)؟

إنهما بخير حال... ويرسلان لك تحياتهما!

هل تقابلتِ معهما ثانية؟

لا، لا أريد أن أرى أياً منهما.

ولِمَ لا؟

حسناً... لقد تشاجر الأحمقان.

أين؟

في كافيتيريا الجامعة... كنتُ جالسة هناك مع جيورجيوس...

جيورجيوس؟ ألا يُدعى ديمتري؟

وماذا قلت؟

جيورجيوس...

آسفة! حسناً، نعم، كنت جالسة مع ديمتري وجاء إيفان أو...

ألكسيا...

نعم ألكسيا كما تحبين أن تطلقي عليه. بالمناسبة لقد بدأت في قراءة «أنّا كارنينا». هل أخبرتك بهذا من قبل؟

حقاً؟ أنا سعيدة. وهل أحببتها؟

حسناً، أنا أحاول جاهدة أن أفهم الأوصاف التي كتبها تولستوي بالفرنسية لكن.. نعم، إنها جميلة. يا لها من امرأة تعيسة الحظ...

تعيسة الحظ للغاية...

لكنها تسببت أيضاً في وقوع أحداث مؤلمة في حياتها.

نعم مثلما أفعل..

ليس إلى هذا ما أعنيه يا مدام روزيلا... أعني أنها لو استجمعت شجاعتها لتصنع قرارها بشكل مبكر، لربما لم تكن الأشياء لتتعقد إلى هذا الحد.

وإلى أين وصلت في الكتاب إلى الآن؟

مرض أنّا... يأتي ألكسيا الذي تحدثت عنه كي يزورها لكنه يصادف زوجها.

أعتقد أن علينا أن نناقش هذا بعدما تنتهين من الرواية.

حسناً.

أكملي.

أكمل ماذا؟

كنت تتحدثين عن مشاجرة...

ياه، صحيح! ما إن جلسنا هناك حتى جاء ألكسيا ونظر الاثنان إلى بعضهما البعض بطريقة تشي بالكراهية. ثم بدأ يقول أشياء لأصدقائه بصوت مرتفع. جمل بلهاء، أشياء فظيعة عن اليونانيين إلى غير ذلك... وبطبيعة الحال فقد رد عليه ديمتري وقال أشياء غير لطيفة عن النساء السلافيات. لو لم أتدخل لحطم الحمقى كل شيء إلى إرب صغيرة... الطاولات والمقاعد وكل شيء...

أمر لا يُصدق...

لقد أحرجوني حقاً...

ربما تكون هذه هي المرة الأولى التي يحدث فيها شيء مثل هذا في هذه المدينة.

لِمَ؟

هذه ليست إسطنبول يا آنستي... هذه مدينة أوروبية هادئة. لا يتشاجر الرجال هنا على النساء.

ألا تصدقينني؟

لم أقل هذا.

لكن لماذا أشعر أنك لا تصدقينني؟

لا أعرف...

حسناً، صدقي أو لا تصدقي. هذا ما حدث.

ما هو الموقف الحالي؟

لقد تركتهما! وبالتالي يمكننا جميعاً أن نهدأ بالاً.

ماذا يمكنني أن أقول... أتمنى لك الخير.

في رأيك ما الذي ينبغي أن أتعلمه من هذا الموقف؟

ماذا تقصدين؟

كنت تقولين إن الحياة تريد أن تخبرنا بشيء من خلال كل تجربة نمر بها. فما هي الرسالة من هذه التجربة في رأيك؟

لا يمكنني أن أجزم يا آنستي... وحدها حياة الفرد المقصود بهذه الرسالة هي ما تستطيع أن تحدد الرسالة التي تريدها الحياة من مثل هذه التجارب.

ربما تخبرني هذه التجربة بأن أهدأ وأسترخي. ما رأيك؟

لا أعرف...

أو ربما تقول: «توقفي عن المحاولة أيتها الفتاة! مقدر لك أن تعيشي هذه الحياة وحيدة...»

لا أعتقد ذلك...

ولِمَ لا؟

لو كانت هذه هي الرسالة لما منحتك الحياة كل هذا القدر من الجمال.

ها أنت تجاملينني ثانية.

لا، أنا جادة في هذا. إلى جانب أنني لو كان عليّ أن أخمن فسوف أقول

لك إن الحياة تخبرك بأن سعادتك ليست بعيدة عنك...

امم...

ربما تخبرك بأن تتوقفي عن إرهاق نفسك في البحث عن السعادة، وأن تسمحي لها بأن تجدك...

سأفكر في هذا.

سيسعدني ذلك.

ما الدرس الذي تعلمته بعد أن غادرت منزل العائلة؟

حسناً... لم أتعلم درساً لكنني اكتسبت الكثير من المعرفة عن الحياة. بينما كنت أعيش في غرفة صغيرة في منزل مدام إليني، حاولت أن أدبر أموري المادية من خلال المال القليل الذي كنت أكسبه، وعانيت من انهيار عصبي متكرر بسبب الإشاعات التي انتشرت عن ترحيل اليهود، وشعرت أيضاً ورغم كل شيء بأنني قوية بدرجة لم أشعر بها من قبل. فقد كانت هذه هي المرة الأولى التي أخرج فيها خارج الحياة التي صممها لي والدي أو زوجي وأعتمد على نفسي بشكل كلي. ربما كانت حياة صعبة جديدة ومليئة بالحاجة، لكنها كانت من صنعي أنا. كانت حياتي وحدي. أصبحت أكسب المال من أجل شراء لبن لابنتي، ولإصلاح ملابسي ودفع الأجرة...

لكنكما كنتما تحبان بعضكما البعض...

نعم آنستي! كنت أحبه. كنت أحب إينفر ريحان أكثر مع كل يوم يمر. على الرغم من النساء الأخريات...

لقد وعدني كثيراً... لكن هذا لم يكن سهلاً عليه أيضاً. كانت معتقداتي

تمنعني من خيانة زوجي بجسدي... مع هذا، فقد كان إينفر محاطاً بسيدات ينتظرن إشارة منه.

أنا لا أعلم حقاً ماذا كنت سأفعل لو كنت مكانك.

لن تستطيعي تصور هذا بخيالك فقط يا آنستي... وهذا في الحقيقة ما أردت أن أقوله. إن المرء يكتشف قدراته وأوجه قصوره حينما يقع في الحب أو حين يكسب عيشه. بهذه الطريقة تكتشفين كيانك. وكما ترين فلم يكن بإمكاني أن أتصور هذا بينما كنت أعيش مثل أميرة في جرس زجاجي وفرته لي أسرتي في برلين.

أنت محقة... بالمناسبة، أردت أن أسألك عن شيء، لكنني نسيت تماماً.

عن إينفر؟

لا..

ألدو؟

لا.. ليس ألدو أيضاً.

جاكلين؟ ربيكا؟ لينت؟

لا ليس أياً منهم.

عما إذاً؟

نعم. أتذكر الآن! ألم تتلقي أي أخبار متعلقة بأسرة ألدو في هذه الأثناء؟

حسناً، بعد فترة، لم تعد لينت تحتمل الأمر وبدأت تزورني مرة كل أسبوع. وكانت تحضر خطابات ألدو لي أيضاً.

هل كان السيد ألدو على ما يرام؟

كان يبدو مكتئباً بشكل كبير وبحاجة إلى المواساة في الخطابات الأخيرة التي كتبها. كانت هذه هي المرة الأولى في حياتي التي أرى فيها معنوياته منخفضة لهذه الدرجة. بالرغم من أن موقفه تحسن وتم منحه منصباً أكاديمياً، فإن بُعده عن ابنته كان يقتله.

هل كتبت له أيضاً؟

كنت أكتب له عن الأشياء العادية... عن خطأ مهم ارتكبته تانيا، عن موت الكرمة الموجودة بالحديقة، أو الأحاديث التي يتم تبادلها في عشاءات السبت... لكنني لم أخبره بأي شيء حتى بعد أن تركت بيت أسرته... في أغلب الوقت، كنت أكتب له ما يثبته. لكن الرب وحده يعلم كم عدد الخطابات التي استطاع أن يتسلمها...

على الأقل كان محظوظاً عنك.

ربما...

كيف وجدتك لينت؟

بعدما استقريت، أرسلت لها رسالة مع أحد أصدقاء إينفر. كنت أريد أن يعرفوا ضمنياً أين أنا...

وبالتالي جاءوا ووجدوك.

نعم... كنت آمل أن يعود كل شيء إلى ما كان عليه.

لكن ألا يتناقض هذا مع ما قلته لي للتو؟

يتناقض؟

أعني، ألم تكوني سعيدة جداً بتلك الحياة التي تبنينها بنفسك؟ ألا يتناقض

أملك في أن يسامحوك مع هذا؟

نعم... قليلاً.

إذاً؟

إذاً ماذا؟

إذاً، فهناك تناقض.

صغيرتي، الإنسان شبكة من التناقضات. خاصة نحن اليهود...

أنت أعلم...

سرعان ما تعرفت على روزيلا الحقيقية من خلال هذه الأيام العصيبة يا آنستي... هل تفهمين الآن لِمَ لا أطيق نسيان الأشياء؟

فهمت... هل تمطر؟

أعتقد ذلك... هل ننتقل للداخل؟

ينبغي عليكِ أنتِ أن تدخلي للداخل يا مدام روزيلا... عليّ أن أغادر الآن.

لِمَ؟

لدي موعد.

ماذا؟ مع من؟ كيف؟

لا يمكنني أن أقول أي شيء الآن. لكن ربما أخبرك في الأسبوع القادم...

من فضلك يا آنستي. أنت تثيرين فضولي هكذا...

مثلما قلت، سأخبرك الأسبوع القادم.

حسناً. ليكن هذا إذاً... لكن تأكدي من أن الأسبوع سيكون طويلاً جداً بالنسبة لي.

---

(12) الاسم التركي الذي أطلق على شخصية جروتشو في أفلام جروتشو ماركس التي كانت تعرض في تركيا في الماضي.

(13) الاسم الذي كان يطلق على الإخوة ماركس في تركيا.

مدام روزيلا، ما الذي حدث؟

آنستي لقد أُرهقت في الأسبوع الماضي كثيراً...

حسناً، يمكنني ملاحظة هذا عن بُعد.

حقاً؟

لا أريد أن أحبطك، لكنني بالفعل لا أحب شكلك وأنت متعبة هكذا.

لا تشغلي بالك، يا آنستي. أنا أعي حالتي أكثر منك... لم يكن لدي فرصة كي أنعش نفسي قبل أن تأتي. من فضلك سامحيني.

لابد وأنك تمزحين.

لدي مشكلة في النوم خاصة في الليل... أستيقظ كثيراً في المساء وأستيقظ وأنا أشعر باختناق. أحملق في السقف طويلاً قبل أن أنام مرة أخرى.

لماذا لا تذهبين إلى المستشفى؟

أفضل أن أقضي ما تبقى من حياتي في المنزل.

يمكنني أن أصحبك إلى هناك. ويمكنني حتى أن أكون مرافقتك.

أشكرك كثيراً، كان الدكتور جال هنا قبل مجيئك مباشرة. وقال إنه من الأفضل لي أن أجلس في الحديقة. على الأقل يمكنني أن أستنشق الأكسجين فيها.

كيف تشعرين الآن؟

أشعر كأنني سأموت...

مدام روزيلا!

آسفة يا آنستي. كنت أمزح فقط!

لم يكن هذا مضحكاً! ينبغي أن تعرفي أن حس الدعابة اليهودي لديك يخونك في بعض الأحيان.

إذا ما تركنا المزاح جانباً، يمكننا القول إن الاستماع إلى جسدك وملاحظته أثناء الوقت الذي تستلقين فيه وتنتظرين النوم كي يأتيك مرة أخرى بعدما استيقظت هو أمر شائق. كان ألدو يقول جملة مدهشة: «إذا ما استطعت أن تشعر بوجود عضو في جسدك، فهذا يعني أن هذا العضو مريض». وكما ترين يا آنستي، فأنا أنتظر في الليل معجزة تمكنني من أن أنام، بينما أشعر بوجود كل عضو في جسدي.

مدام روزيلا. أنا آسفة حقاً...

من فضلك لا تدعي الدموع تبلل هذه الرموش الجميلة.

أتمنى لو أستطيع فعل أي شيء...

من فضلك... أنت تقومين بأقصى ما تستطيعين. تأكدي من هذا. أنت تأتين إلى هنا كل أسبوع وتتحدثين معي.

لكن ما فائدة هذا؟

الحديث مفيد يا آنستي... تكبت الكلمات الصمت القابع داخلنا. حتى أكثر الآلام حدة تهدأ عندما يتم التعبير عنها بالكلمات. يقول الحاخام هاما إن مَلَكَة الكلام، وهي نعمة من الرب، تساوي في أهميتها خلق الكون.

أنا آسفة حقاً أن... أنت تعرفين أنني لا أستطيع أن أقف هكذا أمامك مكتوفة اليدين...

كيف كان موعدك؟

أي موعد؟

اممم! لقد جريت في الأسبوع الماضي من هنا وقلت إن لديك موعداً.

نعم، بالضبط...

مع من تقابلت؟

اممم... معه... كلوس- بيتر.

الأستاذ؟

نعم.

هل قلت إنه أستاذ مساعد؟

وما أهمية هذا يا مدام روزيلا؟ إنه مجرد أحمق.

إذاً فهل فصلتيه هو الآخر؟

حسناً، دعينا نقول إنني أجبرته على تقديم استقالته.

كيف؟

لقد أخبرته أنني سحاقية.

ماذا؟

سحاقية.

انتظري... هل مازالت هذه الكلمة مستخدمة بنفس المعنى؟

بالتأكيد.

لكن لماذا قمت بهذا؟

لأنه يقرض أظافره.

معذرة؟

إنه يقرض أظافره يا مدام روزيلا.... لو أن هناك شيئاً ما أكرهه أكثر من صديقات أبي فسيكون رؤية رجل يقرض أظافره.

حسناً، لا يمكنني أن أقول إنك مخطئة في هذا.

لابد أن تري يديه!

أوه!

هل يمكنك تصور كيف يبدوان؟

توقفي من فضلك!

إنهما خشنتان ومقرفتان.

هذا يكفي، يا آنستي. هذا مقزز!

حسناً، هذه هي الحقيقة...

لقد كانت لدي توقعات مختلفة تماماً...

ما الذي توقعتيه يا مدام روزيلا؟

طول الأسبوع الماضي كنت أشعر بالفضول بخصوص القصة التي ستحكينها عن هذا الموعد.

وانتهى الأمر بحكاية قرض الأظافر الفظيعة تلك، أليس كذلك؟

للأسف!

أبواق؟

نعم... وتغير لون السماء، وهبت رياح عاتية، ثم هبط رجل ببذلة مكتوب عليها حرف S من السماء...

يا إلهي!

ما الذي أخافك؟

هل كان المسيح؟

مدام روزيلا، قلت إن حرف S مكتوب على صدره، وليس حرف M.

من كان إذاً؟

ساركيس.

أنت تمزحين...

أبداً..

وما الذي حدث بعدها؟

في الحقيقة، لقد جاء ساركيس إلى سكن الطلبة في الصباح الباكر. لا أعرف من الذي نصحه بهذا...

لا تنظري إليّ بهذه الطريقة يا آنسة. لست مذنبة.

أينبغي عليّ أن أصدقك؟

أعني، أنني بريئة إلى حد ما.

لكن حينما رآه هذا الشخص منتظراً انتابته الريبة. وبعدما غادرت المبنى، بدأ الرجل الكزخي يتتبعني فبدأ ساركيس يتتبعه.

هل حماك من الرجل الآخر؟

لا، أبداً... في الحقيقة، لقد ضُرب ضرباً مُبرّحاً.

أوه يا إلهي!

لكنني أحدثت الكثير من الجلبة وصرخت بصوت مرتفع؛ فاضطر الرجل إلى الهروب. وبالطبع، فقد كانت شفة ساركيس قد شُقت وجرحت مؤخرة رأسه فسال منها الدم، لقد انجرح وهو يهوي.

هل سقط؟

مع أنه تلقى لكمات قليلة..

يا إلهي!

لقد ضربه الكزخي في عينه أيضاً.

كان ينبغي أن تذهبوا إلى المستشفى.

لقد فعلنا.

إن هذا رومانسي، أليس كذلك؟

لقد أحببت هذه الحكاية، أليس كذلك؟

نعم...

عرفت أنك ستحبينها.

هل عالجت جروحه؟

ليس لهذه الدرجة يا مدام روزيلا. هل أنا ممرضة أم ماذا! لقد اعتنى به العاملون في قسم الطوارئ. وقد خيطوا جرحه بغرزتين.

ثم؟

ثم شكرته، وتمنى لي يوماً جميلاً، وذهبنا كل في طريقه.

هل كان هذا كل شيء؟

ماذا كان علينا أن نفعل غير هذا؟

أقصد ألم تذهبا إلى أي مكان أو تشربا شيئاً معاً؟

لا يا مدام روزيلا...

ألم يقل لك أي شيء خاص؟

لا.. ماذا كان من الممكن أن يقول؟

لا أعرف... على أي حال...

اعترفي.. أنت من أعطاه الفكرة، أليس كذلك؟ أنت ضايقته بما يكفي، لذا أتى وكلمني.

ضايقته؟

من فضلك لا تتلاعبي بي. أنت تفهمين ما أقصد...

لكن ألم يخبرك؟

يخبرني بماذا؟

أنه وقع في حبك في اللحظة التي رآك فيها؟ أن عقله مشغول بك تماماً... أو أنه لن يخذلك لو أعطيته فرصة واحدة فحسب...

هل كان يريد أن يخبرني بهذا كله؟

كان هذا من المفترض...

يا إلهي... أنا ممتنة لأنه لم تواته الشجاعة لقول هذا كله.

لِمَ؟

لا أعرف... لكنني ممتنة لأنه لم يجرؤ. أتعرفين ماذا يطلق على ما فعلته؟

ما اسمه يا آنستي؟

إنه يُسمَّى تطفلاً يا مدام روزيلا. يُسمَّى تدخلاً في حياة أشخاص آخرين...

الآن أنا متضايقة مما قلت. لماذا تُسمين تمني الخير لشخص تهتمين لأمره تطفلاً؟

يمكنني أن أتدبر أمور حياتي، أليس كذلك؟

نعم، بكل تأكيد... من الواضح... إذاً، هذا هو سبب...

امم؟

...

هيا، قولي ما تريدين يا مدام روزيلا. هذا هو سبب ماذا؟

...

مدام روزيلا؟

...

مدام روزيلا، هل أنت بخير؟ زيلدا! زيلدا! تعالي هنا! مدام روزيلا ليست على ما يُرام! أسرعي!

18

كيف حالك اليوم؟

كيف يمكن أن أكون؟

حسناً، لقد جعلت الأطباء يمرون بوقت عصيب.

لا أحب المكوث بعيداً عن منزلي يا آنستي.

لكن لا ينبغي عليك المكوث فيه طول الوقت. هذه هي أفضل مستشفى رأيتها في حياتي. وقد اتضح أن رئيس الأطباء كان طالباً من طلبة السيد ألدو. هل هناك ما هو أفضل من هذا؟

عندما أفكر في أنني لن أستطيع أن أرى منزلي ثانية...

أوه، لا تقولي هذا يا مدام روزيلا! تعافي أولاً، ودعينا نأمل أن نذهب إلى البيت سوياً...

نأمل... يا لها من كلمة لطيفة...

لا من فضلك لا تبتئسي هكذا.

من فضلك لا تكترثي لبكائي. في هذه اللحظة، لم يعد انتظار الموت شيئاً مؤرقاً بالنسبة لي، إنما يؤرقني أنني لن أحكي لك قصتي بالطريقة التي أريدها.

يمكن للقصة أن تنتظر. ينبغي عليك أن تتعافي أولاً...

لا، لا.. أريد أن أحكي لك.

نعم بالتأكيد، ثم يقتلني طبيبك لأنني أرهقتك.

لا أريد أن أموت قبل أن أكمل الحكاية..

ماذا تعتقدين يا زيلدا؟ هل نتركها تتحدث؟ كما ترين، زيلدا متفقة معي...

زيلدا! هل أتى اليوم الذي تأمريني فيه؟

أوه، لا تستائي هكذا.

أنت لا تفهمين يا آنستي... ثم إنك كنت متلهفة لأن أكمل قصتي.

مازلت متلهفة، لكنني لا أريدك أن ترهقي نفسك...

أتعرفين، لم أحب أبداً أن أترك أي شيء غير منجز.. بالإضافة إلى أنني لو مت قبل أن أحكي لك الحكاية، فلن أستطيع أن أرقد في سلام لأنني لم أنجز ما أريد.

أف، مدام روزيلا! حسناً. افعلي ما تريدين، لكن على الأقل تكلمي ببطء. احكي الحكاية دون أن ترهقي نفسك.

هل رأيت ساركيس مرة أخرى؟

لا، لا لم أفعل.

إنه شاب خجول للغاية. أحياناً ما يخيب أملي.

هل ستحكين الحكاية أم لا؟

أين توقفنا؟

عندما تركت المنزل.. ومكثت مع إيليني.

نعم، مدام إيليني... صديقتي الحميمة خلال هذه الفترة العصيبة كلها... والشاهدة الوحيدة على مغامرتي لاستكشاف نفسي.

وماذا عن إينفر ريحان؟

كان الخناق يضيق يوماً بعد يوم على ريجان إينفر. كان البوليس السياسي في كل مكان، وفي أي مكان يذهب إليه ريجان كان يشعر بعدم الأمان. وكان يقول إنه سيتسبب في مشاكل لي أيضاً. في الحقيقة، هو لم يكن مخطئاً، فبالرغم من أنني استخرجت جواز سفر تركي بعد زواجي، إلى أن النازيين ألغوا جنسيتي الألمانية، وبالتالي أصبح موقفي غير محدد. بالإضافة إلى أنني كنت أعيش وحدي في لانجا وليس مع أسرة زوجي، ولم أكن أعرف ما الذي سيفعله مكتب تسجيل الأجانب لو عرفوا أمري. في أحلامي، كنت أرى أنهم وضعوني في مركب متجه إلى ألمانيا مع طفلتي... بينما ينتظرنا البوليس السري النازي في الميناء... وكنت أفيق من نومي صارخة.

هل تريدين بعض الماء؟

أشكرك... في أحد الأيام اقترح إينفر ريجان أن نفترق.

ربما أراد ذلك لأنه أراد أن يحميك.

حسناً، هذا هو ما قاله لي. لكن المرأة بداخلي أخبرتني بأنه أراد ذلك لأنني لم أعطه نفسي بأي طريقة.

تعنين لأنه لم يكن يضاجعك؟

أعرف أن هذا يبدو فظاً هكذا، لكن كيف يمكنني أن أعبّر عنه بطريقة أخرى.. كنت أشك في أن ما أقدمه له ليس كافياً، وأنه لم يستطع أن يجد فيّ ما وجده في نساء أخريات.

حسناً، لا أعرف يا مدام روزيلا. لا يبدو أن الرجل الذي حكيت عنه يمكن أن يتركك لهذا السبب.

أعرف.. ربما أظلمه بهذا الاعتقاد. لكن أتمنى لو شاهدته عندما ألقى هذه الكلمات على مسامعي. عزيزتي زيلدا، هل يمكنك أن تحركي هذه الوسادة إلى اليمين من فضلك؟

حسناً، لا عليك يا زيلدا. لقد حركتها أنا.

مسكينة زيلدا. لم تستطع أن تنام طول الليل.

صحيح... زيلدا، لماذا لا تذهبين إلى البيت وتنالين قسطاً من الراحة. أنا هنا على أي حال...

آنستي، أعتقد أنها تريد أيضاً أن تستمع إلى الحكاية.

ألم تسمعها من قبل؟

لم يسمع بالقصة أحد من قبل.

واو!

فيما تفكرين؟

حسناً، لا يمكنني أن أعبّر عن هذا... استمري في حكايتك. لكن من فضلك لا ترهقي نفسك.

في اليوم الذي تقابلنا فيه في المقهى في لاليلي، قال إنه من الأفضل ألا نرى بعضنا البعض لفترة من الوقت. كانت الشرطة تتبعه، وإذا ما استمررنا في لقاء بعضنا البعض ثم ألقت الشرطة القبض عليه فمن الممكن أن يحتجزوني أنا أيضاً.

كلامه معقول جداً.

أتمنى لو شاهدتيه وهو يقول هذا... كان الرجل الراشد يبكي كطفل صغير

بينما ينطق هذه الكلمات.

حقاً؟

هل رأيت أباك يبكي من قبل يا آنستي؟

لا لم يحدث هذا.

رأيت أبي يبكي مرتين. كانت المرة الأولى عندما تزوجت، والثانية في محطة قطارات برلين عندما أرسلني إلى إسطنبول... وكان للطريقة التي بكى بها إينفر ريحان نفس الأثر عليّ.

لابد وأن رؤية رجل يبكي أمر مؤثر.

إن الفرد يتعلم الكثير من دموع الكبار يا طفلتي العزيزة... سواء كانت هذه الدموع من أبيك أو شاعر عظيم.

لكن الشك كان ما يزال بداخلك.

كان هذا خارجاً عن إرادتي. لكنك امرأة ومن ثم يمكنك أن تتفهمي مشاعري. لم أغمض عيني في هذه الليلة... كنت أتقلب في سريري وأفكر وأتساءل مع من كان يقضي ليلته. ومع شروق الشمس، كنت قد اتخذت القرار.

أي قرار؟

أن أعطيه ما أراد مني.

ماذا تقصدين؟

كنت سأترك له نفسي يا آنستي. كنت سأضاجعه. أو أيما تدعون هذا هذه الأيام... كنت سأفعل هذا لأنني كنت أريد إينفر لي وحدي وبأي

طريقة.

كوب من الماء؟

لا.. أشكرك.

حاولي ألا تنفعلي من فضلك. الأطباء...

لا تكلمي من فضلك! مرة أخرى تركت تانيا مع مدام إيمبي وذهبت إلى المطبعة في كاجالوجو. أخبروني بأنه لم يذهب إلى العمل في هذا اليوم. لذا ذهبت إلى منزله. كان يعيش في شقة من غرفتين في ... فتح الباب رجل لا أعرفه، وكان بالداخل رجل آخر بشنب كثيف ونظارة إطارها أسود يقرأ ورقة تبدو كخطاب. سألوني بصرامة «هل أنت روزيلا جالانت؟» ثم أعطوني الخطاب كي أقرأه.

هل كانوا من البوليس؟

من البوليس السياسي...

كيف دخلوا إلى منزله؟

كان إينفر قد ترك المفتاح للمالك الذي يعيش في الطابق الأدنى قبل أن يغادر.

وماذا كتب لك...

كتب في خطابه أنه غادر. كان قد أخبرني قبل هذا بأنه لم يعد يشعر بالأمان في إسطنبول. وأنه سيرحل لصالحي وصالحه.

هل كتب أين سيذهب؟

بالطبع لا. ربما فكر في أنهم قد يحصلوا على الخطاب قبل أن أصل إليه.

لكن كان من الممكن له أن يمرره تحت بابك، أليس كذلك؟

أنت محقة. لكنني أشك في أنه أراد أن تجد الشرطة الخطاب قبل أن أجده. كانت هذه هي الطريقة الوحيدة التي يجعلهم يصدقون بها أنني لا أعرف مكانه.

هل كان يحاول أن يحميك...

ربما.

هل تركتك الشرطة ترحلين في سلام؟

بالطبع لا... لأنني لم أكن مسلمة، فقد أخذوني في البداية إلى الكراكون.

الكراكون؟

قسم الشرطة يا طفلتي.

حقاً؟ هل آذوك؟

حسناً، لم يؤذوني بشكل جسدي. إذا ما تغاضينا عن كل الدفع والشد بالتأكيد... في الحقيقة، تحدث معي مأمور شرطة كبير في السن حديثاً أبوياً... أخبرني بأنني لست المرأة الوحيدة التي غرر بها إينفر ريجان، وأن الشيوعيين يورطون النساء الصغيرات مثلي... وبالطبع لم ينس أن يهددني بصوت خفيض، وأن يُذكِّرني بأنني لو أخبرتهم عن مكان إينفر فسوف ينهون قضيتي دون إخبار مكتب الجوازات.

وماذا قلت له؟

قلت له إنني قرأت الخطاب بعدما قرأه رجال الشرطة، وأن إينفر لم يخبرني عن المكان الذي سيتوجه إليه.

حسناً، لو أقسمت بالرب على هذا فلن تكوني مخطئة...

في الحقيقة، كنت أشك في احتمالين. أتذكر أن إينفر قال إن هناك من ذهبوا إلى «فارنا» عبر البحر الأسود، بينما كان يتحدث إلى أصدقائه على الهاتف.

هل فعل هو أيضاً الشيء نفسه؟

ربما.

من المؤكد أن هذا الأمر كان صعباً وقت الحرب.

حسناً، لم تُتح لي الفرصة كي أعرف.

وكيف صدقوا أنك لا تعرفين شيئاً؟

هذا أيضاً لغز كبير بالنسبة لي... يبدو أنهم استقصوا عني خلال الأيام الثلاث التي قضيتها في قسم الشرطة. كانوا يعرفون أنني زوجة ليهودي تركي وقد عرفوا كل شيء عن أسرة ألدو.. ربما كانوا يعتقدون أنني لا يمكن أن أكون مجنونة بما يكفي لأن أخاطر، فيتم ترحيلي في وقت كان اليهود يُحرقون فيه في ألمانيا. لا أعرف السبب في حقيقة الأمر...

لقد كنت محظوظة.

كنت دائماً ما أعتقد أن الرب أنقذني من أجل تانيا.. لقد أنقذتني براءة تانيا وحفظت لي حياتي.

هل تفتقدينها؟

من؟

تانيا.

كثيراً...

لماذا لم تخبريني بأنكما لا تتحدثان مع بعضكما البعض؟

أنت محقة... في الحقيقة كنت أخطط لأن أتحدث عن هذا لاحقاً. في هذه الآونة لم أكن أعرف أن الوقت المتاح أمامي قليل جداً...

ها أنت تبتئسين مرة أخرى!

معذرة؟

لا شيء. أنت محقة، زيلدا. تحتاج المدام إلى أن تستريح. هيا مدام روزيلا. أغلقي عينيك. سنكمل حديثنا بعد أن تستيقظي.

>

19

رائع، لقد وصلت إلى قناتك المفضلة مرة أخرى...

الممرضات طيبات للغاية. لقد ضبطوا القناة من أجلي على الفور.

دعيني ألقي نظرة... أليست هذه مونيكا سيلش؟

برافو آنستي! كنت أحاول أن أتذكر اسمها منذ نصف ساعة.

أعتقد أن خصمتها اسمها ماجدلينا...

هذه الأصوت التي تصدرها مونيكا وهي تلعب تزعجني حقاً... مزعجة للغاية.

لا تقلقي. سرعان ما سينزع أحدهم أيضاً وسيطعنها.

أوه! هل هي تلك المباراة؟

على الأغلب.

لماذا طعن الفتاة المسكينة؟

ليس لدي أدنى فكرة. قالت الصحف وقتها إن الرجل كان مُشجعاً مُتعصباً لستيفي جراف.

يا له من أمر فظيع...

لكن تبدين بحالة جيدة اليوم!

أنت فتاة طيبة.

تعافي سريعاً كي نستطيع أن نلعب مباراة معاً.

نعم، بكل تأكيد...

أنا جادة. يمكننا أن نلعب المباراة النهائية التي دائماً ما كنت تحلمين بها... آنستي...

لكن ينبغي أن أخبرك بأن فرصتك في الفوز عليّ ضعيفة جداً!

أعتقد أن كلتانا تعرف أنني لن أخرج من هنا، أليس كذلك؟

هل هذا وقت الهراء؟

ينبغي أن أعترف أن كل محادثة بيننا كانت مثل مباراة جيدة...

نعم... أقصد..

التنس أيضاً محادثة يا آنستي... وكلما أعاد لك خصمك الكرة بشكل أفضل، أصبحت أكثر قدرة على ضربها... وإذا لم يكن خصمك ماهراً، فلا يهم إن كنتِ لاعبة ماهرة أم لا. فالمباراة ستكون مباراة فظيعة.

لا أجد ما أقول... أشكرك.

كان نهائي جميلاً. أنا من ينبغي أن تشكرك.

مدام روزيلا، هل يمكننا أن نحي جانباً كل هذا الحديث الباعث على الحزن؟

لكن الحديث عن المستقبل مستحيل طالما أنني راقدة هنا ومتصلة بكل هذه الآلات في غرفة بمستشفى... ليس هذا بالأمر السهل على الإطلاق...

إذاً تحدثي عن الماضي.

هل تريدين أن أخبرك عن الماضي بالفعل؟

بالطبع. بدلاً من قول كل هذا...

ما آخر شيء تحدثنا عنه؟

لماذا لا تتحدثين أنت وابنتك...

نعم...

لكن إن كنتِ مرهقة...

أنا مرهقة لكنني أريد أن أنهي القصة.

هل أستدعي الممرضة؟

لا يوجد حاجة لهذا... بعدما قضيت ثلاثة أيام من الخوف سلموني لعائلة ألدو. في الحقيقة لم تأت عزيزتي لينت وحدها كي تأخذني... فقد سامحتني العائلة، لإصرارها على ذلك. فعلوا هذا بتردد بالطبع... ومن أجل ألدو... أعتقد أنهم أيضاً شعروا بالخزي من معاملتي بكل هذه القسوة. في النهاية، لم أفعل أي شيء يلطخ اسم العائلة.

بالتأكيد..

لكن شيئاً لم يعد كما كان...

هل سمعت عن إينفر ريجان بعدها؟

بعدها بشهر، كتبت الصحف أن «الشاعر الشيوعي، الذي خان البلاد، هرب إلى روسيا...» حاولت جاكلين أن تثير سخط الآخرين عليّ مرة أخرى بإعادة تذكيرهم ببعض ما حدث، لكن العائلة عانت من الكثير من الأحداث غير السارة مثل ضريبة الثروة والنفي إلى أسكيل؛ فبدت مغامرتي الصغيرة أمراً تافهاً.

ألم تكتبي له؟

لا يا آنستي. لقد دفنت قصتي في قلبي. كنت أخشى إن اشتعلت الأمور مرة أخرى ألا أستطيع الحفاظ على قوتي، وأن أُعَرِّض الآخرين للخطر. ولم يكن لدي القوة لأن أمر بما مررت به مرة أخرى.

أنت محقة.

ليس من السهل أن نجزم بهذا دائماً... لقد اتهمت نفسي لسنوات... لأنني لم أستطع أن أكون أقوى، لأنني لم أدافع عن حبي أو أحميه، لأنني لم أستطع أن أخاطر...

ما الذي كان بإمكانك فعله؟

كان يمكنني أن أتبعه.

إلى أين؟ روسيا؟

نعم...

لكن ماذا كان سيحدث لتانيا لو أنك ذهبت؟

أعتقد أن علاقتنا ببعضنا البعض لم تكن ستصبح أسوأ مما هي عليه الآن.

لا أعرف يا مدام روزيلا. تعرفين أنه من الصعب...

أعتقد أنني الشخص الوحيد الذي تألم لانتهاء الحرب وعودة الأمان للطرق.

لأنه لم يكن لديك أمل في رؤية إينفر مرة أخرى.

نعم. لقد ساعدنا ألدو في العودة إلى حيث كان. عندما قابلته، شعرت أنه كبر في السن كثيراً... كما لو أن السنين التي مضت لم تكن خمس بل خمس وعشرين. كان شعره أنحل وكان قد فقد الكثير من الوزن. كان الشيء

الوحيد الذي تغير إلى الأفضل هو عمله الأكاديمي. بالإضافة إلى أن الزوج اليهودي الذي عاش معهما خلال الحرب، تركا منزلهما له.

بيتك الحالي؟

نعم آنستي! وهو الذكرى الوحيدة الجيدة التي بقيت من أيام الحرب. كانت الحرب قد انتهت بعدما مات اثنان وستون مليون نسمة... لقد نجونا من الموت بطريقة أو بأخرى... لم نكن نعرف ما إذا كانت الأيام التالية سيئة أم لا، لكننا كنا نعرف بالقطع أن حياة جديدة بانتظارنا، وأن ماضينا كان مثقلاً بديون قمنا بدفعها. لم تكن لدي الكثير من التوقعات، فقبلت الحياة هنا بسرور وسعادة.

وعشت هنا طوال ستين سنة.

نعم آنستي! طوال ستين عاماً...

لماذا لم تعودي إلى إسطنبول مرة أخرى؟

لست متأكدة... ربما كنت أخاف أن أنسى ذكرياتي... بالإضافة إلى أن المدينة التي كنت أراها كثيراً في التليفزيون لم تكن هي المدينة التي عرفتها.

أنت محقة في هذا، هل كان السيد ألدو لا يزال واقعاً في حبك؟

لم أتأكد من هذا سوى بعد أن رحل.

لِمَ؟

بعد الجنازة، كنت أقلب في أوراقه كي أجد بعض المستندات التي كنت أحتاج إليها، ثم وقعت في يدي بعض الخطابات المرسلة إليه من إسطنبول أثناء الحرب. كانت كلها من جاكلين.

أوه! ما الذي كتبته له؟

لم أطق أن أقرأ كل ما كتبته، لكن الخطاب الأول كان عن خيانتي لزوجي... كيف تقابلت مع إينفر ريجان، والأماكن التي كنا نذهب إليها، والمقهى في لاليلي، إلى غير هذا... فيما يبدو أنها أخبرت ألدو بكل شيء.

ولم يقل لك السيد ألدو كلمة بهذا الخصوص!

لا، لم يفعل.

لكنه احتفظ بكل هذه الخطابات.

نعم.

طوال ستين عاماً تقريباً...

نعم.

إنه أمر صعب جداً بالنسبة لرجل...

للأسف، هو كذلك بالفعل...

وماذا عن تانيا؟

لم تكن تانيا في تسامح أبيها.

هل قرأت هي أيضاً الخطابات؟

نعم.

هل أعطيتها الخطابات كي تقرأها؟

بالطبع لا. لكن في داخلي، كنت أتمنى أن تجدها يوماً ما وتقرأها... مثلما أراد ألدو أن أجد هذه الخطابات... وإلا لكنا أحرقناها عندما تسنح الفرصة،

أليس كذلك؟

صحيح.

في أحد الأيام دخلت تانيا إلى غرفتي بعصبية شديدة. كانت في الثالثة والعشرين وقتها. لوّحتْ بالخطابات في الهواء، وصرخت وهي تسألني كيف يمكن أن أفعل هذا بأبيها.

وماذا كان ردك؟

لا شيء.

ماذا تقصدين؟

تخيلي هذا فقط... أنت ابنتي، وتكتشفين فجأة أنني أحببت رجلاً آخر. ماذا كنت ستفعلين؟

أنا متفهمة يا مدام روزيلا...

كنت متأكدة من أنك ستتفهمين يا آنستي.

هل ترغبين أن أتصل بتانيا وأخبرها؟

لِمَ؟

ربما ترغب في رؤيتك.

انسي أمر تانيا يا آنستي، وابحثي عن والدتك فحسب... أعلم علم اليقين كم عانت هذه السيدة المسكينة...

هل تعتقدين أنها سترغب في رؤيتي بعد كل هذه السنين؟

بدون شك.

مدام روزيلا، هل أنت متأكدة أنك بخير؟

نعم... أنا بخير فعلاً.

لكن يدك... يدك باردة.

لا يهم...

مدام روزيلا؟

...

زيلدا! اطلبي ممرضة الآن!

أنا... بخير آنستي. سأخلد للراحة قليلاً...

لكن يدك باردة.

قليلاً، وأنا مستمتعة بها هكذا... مثل... مثل الخريف...

من فضلك لا تتركي نفسك هكذا... من فضلك!

أنت جميلة للغاية يا طفلتي... وصغيرة ومفعمة بالحياة... وأنا... أنا تحدثت كثيراً. أشعر بالتعب الآن...

ممرضة! ممرضة!

...

...

عزيزتي بيلين،

الآن وقد أعطتك زيلدا هذا الخطاب، لابد وأن حياتي في هذا العالم قد انتهت. يمكنك أن تبكي عليّ إذا ما أردتِ، لكن لا تبكي لوقت طويل. ففي النهاية، لقد عشتُ حياةً طويلة، وتوقع المزيد من الحياة يُعتبر طموحاً زائداً. ولا ينبغي على المرء أن يتشبث بالحياة بطموح زائد...

بالمناسبة، سامحيني إن كنت أتحدث إليك بطريقة غير رسمية. لقد كانت الطريقة الرسمية التي نتحدث بها مثل حاكمتين فرنسيتين - طريقة حلوة وربما كانت شاعرية بشكل يستثير الحنين إلى الماضي داخلي. لكنني الآن وأنا أكتب هذه الكلمات الأخيرة أشعر أنني أتحدث معك كأم.

ابنتي العزيزة،

لقد أنرت أيامي الأخيرة بأحاديثك الرائعة وجمالك الأخاذ، وأنا بالفعل أشعر بالامتنان لك. آمل ألا تكوني قد شعرت بالكثير من الملل معي. أتمنى لو كانت لدي الفرصة كي أخبرك بكل شيء بشكل مفصل ومبهج، لكن للأسف هذا أفضل ما أمكنني فعله.

أنت تعرفين الكثير عن حياتي الآن. وبالمثل، فأنا أعرف الكثير عن حياتك. ولأنني سيدة عجوز، فبرحيلي آخذ معي عن غير قصد كل ما أخبرتني به بالإضافة إلى كل ما صغتيه في كلمات.

الوحدة ليست أمراً جيداً يا عزيزتي بيلين... خاصة إذا لم تكن خيارك أنت... ويمكن أن يفعل الشخص الذي يقضي فترة معينة من حياته في الوحدة أفعالاً غريبة. مثل أن ينشر إعلانات غريبة في الصحف المحلية.

أو ربما يحبس الماضي في ذاكرته ويُحوِّله إلى مسرحية...

أو ربما يُزيّن الحاضر كي يخفي وحدته. كما يمكن له أن يخلق في خياله ديمتري أو ألكسيا أو كلوس- بيتر، وأن يرغب بصدق في الإيمان بوجودهم. أعتقد أنك تفهمين ما أعنيه بالضبط يا طفلتي العزيزة.

أو أحياناً ما يكون هؤلاء الأشخاص الوحيدون محظوظين مثلنا، فيجدون بعضهم البعض ويواسون بعضهم... مثلما كنا نفعل أنا وأنت. سواء تلاقوا في إسطنبول أو في هذه المدينة الأوروبية التي يسودها النظام بشكل مفرط...

العزلة هي العزلة في كل مكان يا عزيزتي. وبالمثل، فأينما نكون تكون صلواتنا واحدة.

سيتصل بك المحامي الخاص بي خلال أسبوع من أجل الإجراءات المتعلقة بنقل الملكية. أنت من الآن مسئولة عن البيت وقطتي وزيلدا. أنا آسفة أنني لم أسألك عن رأيك في هذا الشأن.

لا أعتقد أن تانيا ستثير مشكلة من أجل المنزل. كل ما أطلبه منك هو أن تخبري تانيا إذا ما جاءت للجنازة أنني أحببتها للغاية وعلى الدوام. لا أعرف إن كنت أماً صالحة أم لا، لكن الرب وحده يعلم قدر الحب المطلق الذي أحببتها به في أعماق قلبي.

عزيزتي بيلين، كما ترين فالأمومة أو الأبوة يغرسان ألماً لامتناهياً في قلب الواحد منا... لا أعرف والدتك، لكنني متأكدة من أنها ستوافقني الرأي.

أرسلي شكري لكل من حضر جنازتي وصلي عليّ بـ«صلاة القاديش»... يمكنك أن تقرأي هذا الخطاب على الناس في الجنازة. وبعدما تنتهي المراسم، غادري مع ساركيس. ربما سيكون على شفتيكما طعم الصلوات

التي صلوتموها عليّ طبقاً لديانتكما. ربما في هذا الوقت، ستكونين قد افتقدت المريمية، وسيدعوك ساركيس إلى محل الحلواني الخاص به كي تشربها معاً.

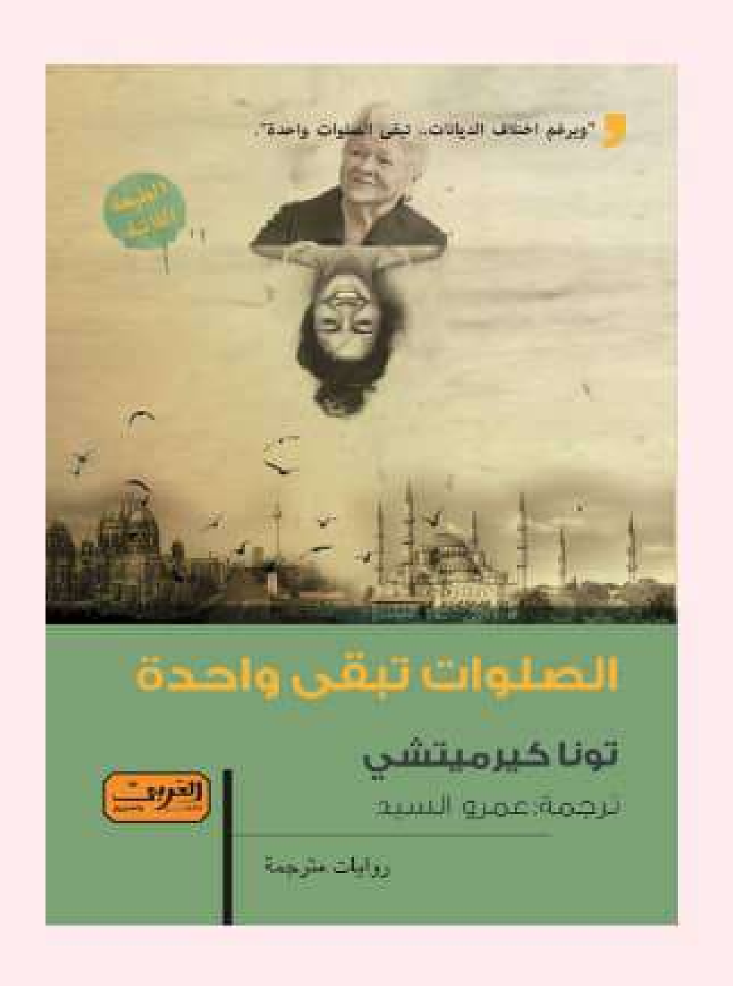
ثم سوف تمشيان إلى جانب بعضكما البعض نحو نهاية الشارع الذي يضيق كلما اقترب من الأفق. عندما تتحولان إلى ظلين صغيرين في نهاية الطريق، سترتفع الكاميرا ببطء وستظهر قائمة المشاركين في الفيلم على خلفية زرقاء ربيعية...

وسأكون أنا يا طفلتي الجميلة جالسة على أفضل كرسي أشاهد كل شيء. وعندما تبدأ أمطار الخريف، ربما أعود إليكما في شكل قطرة مطر. وبرودة خفيفة على خديكما...

ربما سيكون بإمكاننا أن نتحدث مرة أخرى بعدها، لو لم ترتعدي وتخافي.

مثلما كان ألدو يقول دائماً: Kedavos en bon'ora... كوني بصحة دائماً.

روزيلا


"وبرغم اختلاف الديانات، تبقى الصلوات واحدة".
الصلوات تبقى واحدة
تونا كيرميتشي
ترجمة: عمرو السيد
روايات مترجمة


تم الرفع بواسطة:
Telegram:@mbooks90